نحو تصور إسلامى صحيح 

٣٠٠ سؤال وجواب فى العقيدة

(تقريب العقيدة الإسلامية)

المائة الأولى

مسائل الإيمان والكفر

توزيع



جمع وترتيب

د. السيد العربى بن كمال

نحو تصور إسلامي صحيح (٩)

٣٠٠ سؤال وجواب في العقيدة

« تقريب العقيدة الإسلامية »

« المائة الأولى »

(مسائل الإيمان والكفر)

جمع وترتيب

د. السيد العربي بن كمال

أبو عائشة

غفر الله له ولوالديه وأهله وأولاده

توزيع مكتبة

أولاد الشيخ للتراث

ت : ٥٦٢٨٣١٨

رقم الإيداع	٨٦٢٩ / ٢٠٠٠٢
رقم دولى	977 - 5986 - 52 - 4

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

تنفيذ: حمزة للكمبيوتر
٢٢٠٧٧٧٥

توزيع

مكتبة أولاد الشيخ للتراث — أولاد الشيخ

٣٦ شارع اليابان عمرانية غربية - جيزة — ت: ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

* إهداء *

إلى أمي وأبي وأهلي وأولادي وأرحامي.

إلى جميع الآباء والأمهات.

إلى العلماء والدعاة والمشايخ.

إلى جميع المعلمين والمربين.

إلى شباب الصحوة المباركة.

إلى رجال الأمة وأملها.

إلى كل راغب في الخير.

إلى كل مبتدئ في الحق.

إلى كل مقتصد في العلم.

إلى كل طالب هدى.

إلى كل راغب في عقيدة الحق.

إلى كل متبع للسلف الصالح.

إلى كل قائم على صراط الله المستقيم.

إلى كل مجتنب للمحدثات والبدع والضلالات.

إلى كل متبرئ من الإلحاد والشرك والكفران.

إلى كل مؤمل في صحة الدين وكمال الإيمان.

إلى عموم الأمة المسلمة رجاء العودة إلى سبيل العز ومقامات الرفعة والكرامة.

أهدي هذا الجمع من دلالات الخير وهدايات البر في هذه الأسئلة والإجابات «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم».

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

عليه توكلت وإليه أنيب

رب يسر وأعن يا كريم

« إنما تنقض عُرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ».

[عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

* * *

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويبْقى الدهر ما كتبت يداهُ

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسُرُّك في القيامة أن تراه

* * *

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنها ... وإن بناها بشر خابَ بانيها

لكل نفس وإن كانت على وجل ... من المنية آمالٌ تقويها

فالمرء يبسطها والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها والموت يطويها

* * *



مقدمة

«إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وآل بيته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[(١)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[(٢)].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[(٣)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[(٤)].

* * *

---

(١) خطبة الحاجة.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) النساء: ١.

(٤) الأحزاب: ٧٠، ٧١.

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا.

أما بعد: فإن عِلم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدرًا، وأوْجَبها مطلبًا؛ لأنه العلم بالله وأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى وأساس شرائعه، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(١)، وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية وشهد بها له ملائكته وأهل العلم قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢).

ولما كان هذا شأن التوحيد كان لِزامًا على كل مسلم أن يعتني به تعلمًا وتعليمًا وتدبرًا واعتقادًا، ليبني دينه على أساس سليم، واطمئنان وتسليم يسعد بثمرته ونتائجه.

ومن المعلوم المتقرر الذي لا مِرية فيه ولا شك أن الله تعالى لم يخلق الخلق سُدى وهملاً، بل خلقهم لغاية أجْمَلَها في قوله تعالى ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٣) وهذا إجْمَال بينه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٤). وزاده بيانًا في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٥) وهذه الغاية بعبارتنا التي نفهمها هي:

---

(١) الأنبياء: ٢٥. (٢) آل عمران: ١٨.
(٣) الذاريات: ٥٦. (٤) النحل: ٣٦. (٥) الأنبياء: ٢٥.

العقيدة السليمة، أو سلامة المعتقد التي يترتب عليها سلامة المسْلَك في القول والعمل لأن المسْلَك فرع عن التصور والاعتقاد، ولذلك لا تجد المسالك القويمة إلا من ذوي العقائد السليمة، ويؤكد ذلك ما جاء في الكتاب والسنة فمن ذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1].

* **يقول ابن القيم رحمه الله**[*]: فشبَّه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة هي شهادة «أن لا إله إلا الله» فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة والباطنة فكل عمل صالح مُرْضٍ لله ثمرة هذه الكلمة، وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كلمة طيبة» شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة وهو المؤمن، أصلها ثابت: قول لا إله إلا الله في قلب المؤمن، وفرعها في السماء يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

* **وقال الربيع بن أنس:** «كلمة طيبة هذا مثل الإيمان، فالإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص فيه، وفرعه في السماء: خشية الله»، والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن، فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء عُلُوًا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين، وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها، فمَنْ رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بصبغة الله التي لا أحسن

---

(١) إبراهيم: ٢٤ - ٢٦.

(*) إعلام الموقعين ص١٧١ - ١٧٣.

صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً.

* والمقصود أن: كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا متصفًا بموجبها قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء وهي مخرجة لثمرتها كل وقت.

* **ومما جاء في السنة:** مما يبين هذه المسألة أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يَرْتَع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

* **قال ابن رجب*** في معرض بيانه لهذا الحديث ما نصه: قوله ﷺ ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله. . . فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه فإن كان قلبه سليمًا صلحت حركات الجوارح كلها، فنشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذرًا من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسدًا فسدت حركات الجوارح كلها وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب، ولهذا

---

* جامع العلوم والحكم ص٢١٠ طبعة مؤسسة الرسالة.

يقال: القلب ملك والأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحًا كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسدًا كانت جنوده بهذه المناسبة فاسدة ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۝٨٨ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[(١)] وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «وأسألك قلبًا سليمًا»[(٢)]، فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وما يحبه الله خشية لله وخشية ما يُبَاعد منه» اهـ.

* **وإذا تقرر هذا:** فلابد أن تعلم عبد الله أن النجاة والفكاك في العقيدة السليمة، ويكفي أن تعلم فيما يتعلق بأهمية العقيدة وضرورتها بالنسبة لكل عبد مكلف أن العقيدة هي أول التكليفات وآخرها فهي «أولاً دائمًا» ويدل على ذلك من الأدلة مالا يُعد ولا يُحصى فنذكر منها على سبيل المثال ما نقرب به المسألة فمن ذلك:

١- أنها قضية الرسل أجمعين: ودعوتهم الأولى التي لم تختلف، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[(٣)] وكما هو معلوم أن دعوة كل رسول إلى قومه كانت أولاً بلا خلاف ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[(٤)].

٢- أنها دعوة محمد ﷺ: التي أنفق فيها ثلاثة أخماس عمر الدعوة المحمدية ظل يدعو إلى «لا إله إلا الله» إلى العقيدة ويربي عليها أصحابه حتى صار الواحد منهم أُمَّة بفضل الله تعالى.

٣- أنها أول ما نزل من التكليف الشرعي والإلزام الديني ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من كتاب فضائل القرآن، من حديث عائشة ﵂ أنها جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك

---

(١) الشعراء: ٨٨، ٨٩.

(٢) رواه أحمد ٤/ ١٢٥، والترمذي ٣٤٠٧، والنسائي ٣/ ٥٤.

(٣) الأنبياء: ٢٥.

(٤) جزء من آية ٦٥ الأعراف.

قالت: لِمَ؟ قال: لعلي أُولِّفُ[١] القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلَّفٍ، قالت: وما يضرك آية قرأتَ قبلُ، إنما نزل أول ما نزل من سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[٢]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[٣] فالعقيدة أولاً في التكليف.

٤- أنها أول ما بدأ به كل داع: وكان النبي ﷺ يُلزم من يرسلهم للدعوة نيابة عنه أن يبدءوا دعوتهم بالعقيدة لا بغير فمن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله**- وفي رواية- **إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأَعْلِمْهُم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأَعْلِمْهُم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**».

* وغير هذا كثير في السنة يبين أن العقيدة أولاً: فالعقيدة هي باب النجاة ويؤمل لصاحبها الخير في الدارين، ولا يؤمل لمن ضيعها خير في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[٤] وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لقى الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»[٥]. والنصوص في

(١) اولِفُ: قال ابن حجر في الفتح: تأليف القرآن أي جمع لآيات السور الواحدة أو جمع السور مرتبة في المصحف.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ٩، ص٣٨، ٣٩.

(٣) البخاري كتاب الزكاة: ١٤٥٨.

(٤) النساء: ٤٨.

(٥) رواه مسلم (٩٣) في الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار.

هذه المسألة أكثر من أن تُحصَى وهي مسألة بينة معلومة. . . فالحاصل أن العقيدة هامة هامة بها تكون وبدونها لا تكون فإن أكرمكم عند الله أتقاكم، جعلنا الله منهم.

* وكذلك* فإن الله عز وجل قد وَعَد عباده بوعود كثيرة في الدنيا والآخرة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

* وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣).

* وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

* وقال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾(٥).

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(٦).

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾(٧).

* وقال ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»(٨).

---

* من مقدمة كتاب (جهالات خطيرة) د. عاصم عبد الله القريوتي.

(١) آل عمران: ١٣٩.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) الحج: ٣٨.

(٤) الروم: ٤٧.

(٥) النساء: ١٤١.

(٦) الأعراف: ٩٦.

(٧) الكهف: ١٠٧، ١٠٨.

(٨) حديث صحيح رواه البخاري.

* وإن المتدبر لحال المسلمين اليوم يجد أن هذه الوعود التي وَعَدَ الله بها عباده المؤمنين في الدنيا لا تتحقق، فالعزة والغلبة والتمكين في الأرض لقوى الكفر والضلال، والأمن والاستقرار والبركة في العيش قد فقدناه.

* ولا شك أن سبب هذا يرجع إلينا لأن وعد الله حق: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[1] ولكن يجب أن نلاحظ أن الله تبارك وتعالى وصف عباده الموعودين بأنهم يعبدونه لا يشركون به شيئًا، فلابد للجماعة المسلمة من عبادة الله وحده وتَرْك الكفر والشرك به تبارك وتعالى، وأما العبادة اليوم فتُفْهَم عند بعض الناس بأنها تلفظ بالشهادتين. . . دون فهم معناهما ومقتضياتهما ولوازمهما، والصلاة والصيام والزكاة والحج فقط.

* وأما عزل الحكم عن ديننا وترك ما أنزل الله والحكم بأنظمة الأرض شرقًا وغربًا أو بقوانين وتقاليد القبائل والعشائر وطلب الدعاء والاستغاثة بغير الله، والذبح والنذر لغير الله، والاستهزاء بالدين وسب الله والرسول والإسلام والذهاب للكهنة فهذا لا يناقض العبادة في تصورهم، ومما يزيد الطين بِلَّة أن بعض هذه الأمور تفعل باسم الدين «وإنا لله وإنا إليه راجعون» ولهذا، ولكون الشرك محبطًا للعمل الإنساني لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2] أ. هـ*.

* ولا شك* أن أصل الفساد مخالفة الحق وتَنَكُّبُ طريقه، وصلاح الأمر كله في اتباع الحق والتزامه، والحق هو الوضع الثابت الذي خلق الله عليه مخلوقاته، أو أرادها أن تكون عليه، ذلك أنه ليس من مخلوق في الدنيا إلا وخَلَقه الله وحده، لم يشاركه أحد في خلقه، وليس من مخلوق في الدنيا إلا وجعله الله سبحانه وتعالى على وضع معين، ودَبَّر أمره بكيفية معينة، والله سبحانه وتعالى كامل منزه عن الخطأ، فالصلاح كله في خلقه وتدبيره، وكل شيء ينحرف عن الوضع الإلهي والتدبير الرباني يَفْسُد، فهذه السموات والأرض خلقهما الله بالحق ودَبَّر أمرهما بحكمته فصلحتا بخلقه

(١) النساء: ١٢٢. (٢) الزمر: ٦٥.

* من مقدمة كتاب الإيمان لمحمد نعيم ياسين (بتصرف يسير جدًا).

وتدبيره سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[١]، والإنسان مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، وصلاح حياته مرهون بمعرفة الحق واتباعه، وفسادها نتيجة محتومة لجهله بالحق، وأمره وتدبره هو الحق فإن سبب فساد الحياة البشرية كلها هو الكفر بالخالق، والكفر بأمره وتدبيره وبما أنزل من الحق، وسبب صلاح هذه الحياة كلها هو الإيمان بالله عز وجل، ولذلك قال عز من قائل: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[٢] ولا يتبع هداه إلا مَنْ آمن به وذَكَره واستشعر وجوده، وصفاته وعظمته سبحانه، ومن نسى ذكر الله واعرض عن هداه، والإنسان ممتحن في هذه الدنيا بهذين الأمرين: ذكر الله، واتباع هداه، أو نسيانه والضلال فهو على مفترق طريقين لا ثالث لهما طريق الإيمان والهدى والسعادة في الدنيا والآخرة، وطريق الكفر والضلال والشقاء في الدارين ولذا كان أشرف ما يتعلمه الإنسان، ويُعَلِّمه لغيره أمور العقيدة وأركانها ومقتضياتها وأحوط ما يحتاط ويتسلح به معرفة معالم الكفر وأسبابه ومقتضياته، فإن كان على بصيرة من هذين الأمرين الخطيرين، عرف الإنسان طريق سعادته، فالتزمه ولم يَحِد عنه وعرف طريق شقائه فاجتنبه» أ. هـ.

* **الدين الإسلامي**:* والدين الإسلامي هو الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ ختم الله به الأديان وأكمله لعباده وأتم به عليهم النعمة ورضيه لهم دينًا فلا يقبل من أحد دينًا سواه، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٦].

---

(١) الأنبياء: ٢٢. (٢) طه: ١٢٣، ١٢٤.

* من مقدمة كتاب رسائل في العقيدة للشيخ محمد صالح العثيمين.

(٣) الأحزاب: ٤٠. (٤) المائدة: ٣.

(٥) آل عمران: ١٩. (٦) آل عمران: ٨٥.

* وقد فرض الله تعالى على جميع الناس أن يدينوا لله تعالى به فقال مخاطبًا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

* وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفسُ محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[2].

* **والإيمان به:** تصديق ما جاء به مع القبول والإذعان لا مجرد التصديق ولهذا لم يكن أبو طالب مؤمنًا بالرسول ﷺ مع تصديقه لما جاء به وشهادته بأنه من خير الأديان.

* **والدين الإسلامي** متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة متميز عليها بكونه صالحًا لكل زمان ومكان وأُمة، قال تعالى مخاطبًا رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3]. ومعنى كونه صالحًا لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان أو مكان، بل هو صلاحها، وليس معنى ذلك أنه خاضع لكل زمان ومكان وأمة كما يريده بعض الناس.

* **والدين الإسلامي** هو الدين الحق الذي ضَمِن الله تعالى لمن تمسك به حق التمسك أن ينصره ويظْهره على مَنْ سواه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي

---

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) مسلم كتاب الإيمان (١٥٣) عبد الباقي.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) التوبة: ٣٣.

شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١] .

* والدين الإسلامي عقيدة وشريعة فهو كامل في عقيدته وشرائعه يأمر بتوحيد الله تعالى وينهى عن الشرك.

* يأمر بالصدق وينهى عن الكذب.

* يأمر بالعدل وينهى عن الجور.

* يأمر بالأمانة وينهى عن الخيانة.

* يأمر بالوفاء وينهى عن الغدر.

* يأمر ببر الوالدين وينهى عن العقوق.

* يأمر بصلة الأرحام وهُم الأقارب وينهى عن القطيعة.

* يأمر بحسن الجوار وينهى عن سيئه.

* وعموم القول أن الإسلام يأمر بكل خُلق فاضل وينهى عن كل خلق سافل ويأمر بكل عمل صالح، وينهى عن كل عمل سيئ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢] أهـ.

* **العقيدة الإسلامية*:** لقد بين رسول الله ﷺ ما نزل إليهم من ربهم بيانًا كاملاً شاملاً في دقيق أمورهم وجليلها وظاهرها وخفيها حتى علّمهم ما يحتاجون إليه في مآكلهم ومشاربهم ومناكحهم وملابسهم ومساكنهم، فعلمهم آداب الأكل والشرب والتخلي منهما وآداب النكاح واللباس ودخول المنزل والخروج منه، كما علمهم ما يحتاجون إليه في عبادة الله- عز وجل- كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك، وما يحتاجون إليه في معاملة الخلق من بر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الصحبة والجوار، وغير ذلك وعلمهم كيف يتعاملون بينهم في البيع والشراء

---

(١) النور: ٥٥. (٢) النحل: ٩.

* من مقدمة كتاب (تقريب التدمرية) للشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله.

والرهن والارتهان، والتأجير والاستئجار والهبة والاتهاب، وغير ذلك حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: «**لقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذَكَرَ لنا منه علمًا**»[(١)].

* وفي صحيح مسلم[(٢)] عن سلمان رضي الله عنه أنه قيل له: **قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخِرَاءة؟ قال: أجل.. لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول...** وذكر تمام الحديث. هذا فضلاً عن أسس هذه العبادات والأخلاق والمعاملات وهو ما يعتقده العباد في إلههم ومعبودهم في ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله وما ينشأ عن ذلك من أحكامه الكونية والشرعية المبنية على بالغ الحكمة، وغاية الرحمة فأخذ عنه ذلك الصحابة مَعينًا صافيًا نقيًا مَبْنيًّا على التوحيد الكامل المتضمن لركنين أساسين: النفي، والإثبات.

* **أما الإثبات:** فهو إثبات ما يجب لله تعالى من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات والأفعال.

* **أما النفي:** فهو نفي مشاركة غير الله تعالى فيما يجب له ومضى عليه التابعون لهم بإحسان مِمن أدركوا زمن الصحابة أو جاءوا بعدهم من أئمة الهدى المستحقين لرضا الله عز وجل حيث يقول تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[(٣)]، ثم خَلَفَ خلُوف عَمُوا عن الحق أو تعاموا عنه فضلوا وأضلوا، قصورًا أو تقصيرًا، أو عدوانًا وظلمًا فأحدثوا في دين الله ما ليس منه في العقيدة والعبادة والسلوك، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسنة أو كذّبوها إن أمكنهم ذلك.

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢)، والطيالسي (٤٧٩)، والبزار (١٤٧) ويشهد للحديث في الجملة ما أخرجه مسلم (١٨٤٤/ ٤٦) كتاب الإمارة.

(٢) مسلم كتاب الطهارة - باب الاستطابة - الخِرَاءَةُ: اسم لهيئة الحَدَث (التغوُط).

(٣) التوبة: ١٠.

* **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين كما أخبر به ﷺ حيث قال: «**من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[٢]... إلى أن قال- فلما ذهبت دولة الخلفاء الراشدين وصار مُلكًا ظهر النقص في الأمراء فلابد أن يظهر أيضًا في أهل العلم والدين، فحَدَثَ في آخر خلافة عليّ رضي الله عنه بدعتا الخوارج والرافضة إذ هي متعلقة بالإمامة والخلافة وتوابع ذلك من الأعمال والأحكام الشرعية، وكان مُلْك معاوية رضي الله عنه ملكًا ورحمة، فلما ذهب وجاءت إمارة يزيد وجرت فيها فتنة قتل الحسين بالعراق، وابن الزبير بالحجاز، وبنو الحكم بالشام، ووثب المختار بن أبي عبيد وغيره بالعراق، وذلك في أواخر عصر الصحابة، وقد بقي فيهم مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبدالله وأبي سعيد الخدري، وغيرهم ثم حدثت بدعة القدرية والمرجئة فردَّها بقايا الصحابة رضوان الله عليهم... مع ما كانوا يردُّونَه هم وغيرهم من بدعة الخوارج والروافض.

* **وعامة:** ما كانت القدرية- إذ ذاك- يتكلمون في أعمال العباد كما يتكلم فيها المرجئة فصار كلامهم في الطاعة والمعصية، والمؤمن والفاسق، ونحو ذلك من مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، ولم يتكلموا بعد في ربهم ولا في صفاته إلا في أواخر عصر صغار التابعين من حيث أواخر الدولة الأموية حين شرع القرن الثالث- تابعو التابعين- ينقرض أكثرهم، فإن الاعتبار بالقرون الثلاثة بجمهور أهل القرن وهم وسطه- وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة حتى إن لم يكن بقى من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك. وجمهور تابعي التابعين في أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية، وصار في ولاة الأمور كثير من الأعاجم، وخرج كثير من الأمور عن ولاية العرب وعُرِّبَتْ بعض الكتب العجمية من كتب الفرس والهند والروم وظهر ما قاله النبي ﷺ: «**ثم يفشو الكذب حتى يشْهَد**

الرجل ولا يُسْتَشهد، ويَحْلف ولا يُسْتَحْلَف»[١]. حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف وحَدَث التَّجهُّم وهو نفي الصفات، وبإزائه التمثيل- إلى أن قال- فإن فيه من أعظم العلوم نفعًا إذ المرء ما لم يحط علمًا بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حسكة»[٢] أهـ.

* **وقال ابن القيم رحمه الله:** (بدعة القدرية أدركت عصر الصحابة فأنكرها من كان منهم حيًا كعبد الله بن عمر، وابن عباس وأمثالهما- ﷺ- ثم حدثت بدعة الإرجاء بعد انقراض عصر الصحابة فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها، ثم حدثت بدعة التجهم بعد انقراض عصر التابعين واستفحل أمرها واستطار شرها في زمن الأئمة كالإمام أحمد وذويه، ثم حدثت بعد ذلك بدعة الحلول وظهر أمرها في زمن الحسين الحلاج، وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البدع وغيرها أقام الله لها من حزبه وجنده من يردها ويحذِّر المسلمين منها نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأهل الإسلام[٣]أهـ.

* وقال ابن حجر- رحمه الله- في شرح البخاري: (فمما حدث تدوين الحديث ثم التفسير للقرآن، ثم تدوين المسائل الفقهية المُولَّدة من الرأي المحض ثم تدوين ما يتعلق بأعمال القلوب.

فأما الأول: فأنكره عمر وأبو موسى وطائفة ورخص فيه الأكثرون.

وأما الثاني: فأنكره جماعة من التابعين كالشعبي.

وأما الثالث: فأنكره الإمام أحمد وطائفة يسيرة، وكذا اشتد إنكار أحمد للذي بعده.

---

(١) صحيح أخرجه النسائي في عشرة النساء (رقم ٣٣٧ - ٣٤٤) والترمذي (٢١٦٥) وصححه، وأحمد (١/ ١٨، ٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٤ - ٣٦٨).

(٣) تهذيب سنن أبي داود (٧/ ٦١/ حديث رقم ٤٥٢٧).

* **ومما حدث أيضًا:** تدوين القول في أصول الديانات فتصدى لها المثبتة والنفاة فبالغ الأول حتى شبّه، وبالغ الثاني حتى عَطّل واشتد إنكار السلف لذلك كأبي حنيفة وأبي يوسف، والشافعي وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور، سببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي ﷺ وأصحابه، وثبت عن مالك أنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر شيء من الأهواء- يعني- بدع الخوارج والروافض والقدرية، وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو مستكرهًا ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن مَنْ لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عاميّ جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف وإن لم يكن له منه بُدّ فليكتف منه بقدر الحاجة، ويجعل الأول المقصود بالأصالة» أهـ[1].

* **ولما كان من حكمة الله** البالغة أن يجعل للحق معارضين يتبين بمعارضتهم صواب الحق وظهوره على الباطل فإن خالص الذهب لا يظهر إلا بعرضه على النار، قيض الله جل وعلا بقدرته التامه ولطفه الواسع وقهره الغالب مَنْ يَدْحَض حجج هؤلاء المعارضين ويبين زيف شبههم وأنها كما قيل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها ... حقًا وكل كاسر مكسور

* وقال الإمام أحمد- رحمه الله- في خطبة كتابه (الرد على الجهمية) «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون مَنْ ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى ويُحْيون بكتاب الله الموتى ويبَصِّرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه هدوه فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون

(١) فتح الباري (جـ١٠/ ٣٥٤ - ٣٦٨).

في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتنة المضلين» اهـ[1].

* **وبعد:**

* فهذه محاولة أسال الله أن يكتب لها القبول عنده ويجعل بها النفع لي ولمن قرأها وتعلمها، وأن تكون عونًا على نشر الحق في الدنيا، وزخرًا في الآخرة لمن كتبها وتعلمها وعمل بها ودعا إليها وعلَّمها غيره.

* هذه المحاولة عبارة عن تقريب وتبسيط العقيدة الإسلامية في صورة أسئلة وأجوبة تجمع كل شتات المسائل العقدية التي يحتاج إليها المبتدئ والساعي إلى طريق الاقتصاد في تعلم الدين.

* فهي محاولة قد تكون بداية للمبتدئ ولا أقول نهاية للمقتصد . . . فلعل الله عز وجل يجعل فيها نفعًا كبيرًا فهو خير مأمول وهو الهادي إلى سواء السبيل، ولعلي أجعلها بإذن الله في مجموعات من الأسئلة والأجوبة مكونة سلسلة بحسب ما ييسر الله تعالى، وسأجعلها بإذن الله وتوفيقه في فصول يجمع كل فصل منها مجموعة التساؤلات التي تنتمي إلى قضية معينة من قضايا العقيدة.

* **والله أسأل** أن يجعلها عملاً صالحًا ولوجهه خالصًا ولا يجعل لأحد سواه فيه شيئًا، وأن يكتب لها القبول في قلوب عباده في الدنيا وفي صالح أعمالنا في الآخر. . آمين فهو ولي ذلك والقادر عليه وحده، وقد أسميت هذه المجموعة ٣٠٠ سؤال في العقيدة «**تقريب العقيدة الإسلامية**» وستكون بإذن الله كل مائة على حدة، ولنبدأ مستعينين بالله عز وجل الجزء الأول من هذه السلسلة، المئة الأولى في مسائل الإيمان والكفر، فأقول وبالله التوفيق:

* * *

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية جـ٧ لابن القيم.

فصل
أهداف تعلم العقيدة وتعليمها

س١ : ما الأهداف التي ينبغي أن يهدف إليها طالب علم العقيدة؟

ج : إن لطلب العلم عموم أهدافًا كثيرة صنفت لها المصنفات التي يعلمها كثير من المتعلمين من أعظم هذه المصنفات التي جعلت في شرف العلم وشرف العالم والمتعلم وطلب العلم، ما كتبه الإمام الحجة محمد بن أبي بكر بن القيم في كتاب نفيس عزيز المقاصد*، ومن أقلها حجمًا وأعظمها نفعًا تلك الرسالة العظيمة لأحد علماء الوقت «بكر بن عبد الله أبو زيد» المسماة «حلية طالب العلم» وهذا فيما يتعلق بطلب العلم على العموم، أما ما يتعلق بعلم العقيدة فيهدف ويقصد إلى عموم الآداب والمقاصد ويضيف إليها بعض المقاصد الخاصة التي تتعلق بطلب علم العقيدة.

س٢ : ما تلك الأهداف والمقاصد الخاصة التي يقصدها طالب علم العقيدة؟

ج : هي كثيرة أذكر منها على سبيل التقريب أهمها فمنها:

الهدف الأول: تحقيق الغاية التي ما خلق الله الخلق إلا لها وهي التي أجملها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

* وهي تحقيق العبودية** جملة وتفصيلاً فيكون حاله حال من يقول بقلبه عند تعلمه «اللهم إنك تعلم بطلبي العلم من بدء الشروع إلى هذه الغاية وسأطلبه إن شاء الله تعالى إلى آخر العمر والنهاية وما مرادي به إلا تحقيق التوحيد قولاً وعملاً واعتقادًا، وإحياء السنة المطهرة، وإماته البدعة، وهداية المتعلمين، ونصيحة المسلمين، وإيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، فارزقني الصدق في هذا الرجاء وأوصلني إلى جنتك يا أرحم الراحمين.

---

* هو كتاب مفتاح دار السعادة.

(١) الذاريات: ٥٦، ٥٧.

** سيأتي لها تفصيل بيّن من خلال أسئلة تالية في موضعها.

* وإني أُشهدك أن من أسباب طلبي العلم هو أني أحببت رسولك وأصحابه وأئمة السلف وأهل الحق من الخلف الذين قالوا بقول رسولك ﷺ، ولم يشركوا، ولم يبتدعوا، فاحشرني معهم واجعلني في جوارهم في دار النعيم، والمرء مع مَنْ أحب، وإن لم يعمل عملهم ولم يجهد جهدهم في الطاعات... اللهم آمين.

الهدف الثاني: **الدخول في خير الأمة وتحقيق شرط الخيرية:** وذلك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[1].

وفي الأثر[2]: قال أبو هريرة: «نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام».

وأورد القرطبي عن مجاهد: كنتم خير أمة على الشرائط المذكورة.

وقال الأخنس: «أي خير أهل دين».

وقيل معناه: يعني الصالحين وأهل الفضل من أمة محمد ﷺ.

قال القرطبي: وعلى قول مجاهد: كنتم خير أمة إذا كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، **وقيل:** إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى، **فقيل:** هذا لأصحاب رسول الله ﷺ كما قال ﷺ: «**خير الناس قَرْني**»[3]. اهـ (تفسير القرطبي- الطبري).

وعلى هذا: فطالب علم العقيدة يهدف لأن يلحق بأولئك ليكون من الصالحين وأهل الفضل.

الهدف الثالث: **تحقيق شروط* ومقتضيات لا إله إلا الله التي لا ينتفع العبد يوم**

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) البخاري كتاب تفسير القرآن رقم (٤٥٧٥).

(٣) البخاري: كتاب الشهادات (٢٦٥٢).

* سيأتي لها تفصيل بيّن في موضعه.

القيامة إلا بتحقيقها و القيام بها قولاً وعملاً واعتقاداً.

فمن المعلوم أن لا إله إلا الله قيدت بقيود كثيرة لا ينتفع قائلها إلا إذا اجتمعت فيه هذه الشروط والتزم بها دون مناقضة منه لشيء منها وإلى هذا يشير صاحب «سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد»* بقوله:

وبِشُرُوط سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ وفي نُصُوصِ الوحي حَقًّا وَرَدَتْ
فإنه لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا بالنُّطْقِ إلا حَيثُ يُسْتَكْمِلها

ومن المعلوم: أن المراد من ذلك ليس هو عَدّ ألفاظها وحفظها إنما المراد التحقيق والالتزام، والبعد عما يناقضها ولا يكون ذلك إلا بتعلمها وفهم معانيها لاعتقادها والعمل بها، فيهدف طالب علم العقيدة إلى تعلم تلك الشروط التي سيأتي لها تفصيل في موضعها إن شاء الله تعالى.

الهدف الرابع: الدعوة إلى دين الله والعمل على تعبيد الخلق لخالقهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١]، وهذه الآية بتمامها يتحقق كل مناطها في محمد ﷺ كما قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن، قالوا: هو رسول الله ﷺ.

وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله.

وقال الحسن: هذه الآية عامة في كل مَنْ دعا إلى الله، ولذا قال قيس بن أبي حازم: نزلت في كل مؤمن، اهـ[٢].

---

* وهو متن جامع في العقيدة بكل أقسامها ومسائل الإيمان والكفر شرحه مصنفه في سفر جامع أسماه «معارج القبول» وهو الشيخ العلامة (حافظ بن أحمد حكمي) رحمه الله (١٣٤٢هـ - ١٣٧٧هـ) وقد مات شابًا صغيراً عليه رحمة الله تعالى.

(١) فصلت: ٣٣.

(٢) راجع تفسير القرطبي والطبري.

وهذا يعني: أن العبد إذا أسلم وآمن قاده ذلك إلى صلاح الحال وصالح العمل ثم تتوق نفسه إلى دعوة الغير إلى ما صار هو إليه وبات عليه..

فمن أهداف طالب علم العقيدة أن يكون ممن يدعو إلى الله، من المؤمنين أصحاب العمل الصالح، لا من المنافقين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.. نسأل الله أن يبرأنا من النفاق وأهله، وأن يجعلنا من الصالحين... آمين.

***

فصل

تعريفات لابد من معرفتها

س٣ : لقد سُمي الدين الحنيف في القرآن بأسماء عِدة اذكر بعضها مع بيان كل منها على وجه التقريب...؟!

ج : نعم لقد سُمي الدين الإسلامي وبالأحرى صلبه وهو العقيدة بأسماء كثيرة من هذه الأسماء:

الإسلام: قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[1].

ومعناه: لغة[2]. من السِّلْمُ: بالكسر: المسالم. والتسليم الرضا، والسلام، وأسلم: انقاد وصار مسلمًا. والسلم أيضًا: الاستسلام[3].

وشرعًا: هو الاستسلام لله لا لغيره بأن تكون العبادة والطاعة له والذل، وهو حقيقة لا إله إلا الله. اهـ[4].

وقال: الإسلام هو الاستسلام لله بفعل كل طاعة وقعت موافقة للأمر[5] اهـ.

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) القاموس المحيط، باب الميم، فصل السين.

(٣) مختار الصحاح: باب السين.

(٤) مجموع الفتاوى جـ٥: ص٢٣٩.

(٥) مجموع الفتاوى جـ٧: ص١٥٧.

وقال: الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين دينًا إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمَنْ عبده وعبد معه إلهًا آخر لم يكن مسلمًا، ومَنْ لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له، والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسْلَمَ الرجل إذا استسلم، فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح. اهـ[1].

وقال: الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً...﴾ الآية فمن لم يستسلم لله فقد استكبر، ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام، والإسلام ضد الشرك والكبر. اهـ[2].

وقال: والإسلام يجمع معنيين أحدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون متكبرًا والثاني الإخلاص من قوله تعالى: ﴿وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾، فلا يكون مشركًا وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين. اهـ[3].

٢- الإيمان: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وهو من أوسع الأسماء استعمالاً في القرآن ولذلك اشتهر وكثر استعماله في مقامات ذلك العلم «العقيدة».

ومعناه: لغة: آمن به إيمانًا: صدّقه، والإيمان: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة*.

ومن أسماء الله تعالى المؤمن وهو الذي يَصْدُق عبادَه وعْدَه فهو من الإيمان-

---

(١) مجموع الفتاوى جـ٧: ص٢٦٣.

(٢)مجموع الفتاوى جـ١٠: ص١٤.

(٣) مجموع الفتاوى حـ٢٨: ص١٢٤.

* القاموس المحيط: باب النون، فصل الهمزة.

التصديق أو يؤمنهم في القيامة من عذابه فهو من الأمان، والأمْن ضد الخوف[١].

وشرعًا: أمن بمعنى التصديق: قال تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[٢] وقيل معناه: بمصدق لنا، إلاأن الإيمان: التصديق الذي معه أمن.

وأمن: بمعنى: اعتقد وعمل وهنا يستعمل لفظ الإيمان شرعًا على وجوه:

(أ) يستعمل تارة اسمًا للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ.

(ب) يوصف به كل من دخل في شريعته مقرًا بالله وبنبوته ﷺ، اهـ[٣].

الإيمان: قال: الإيمان: تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ أهـ[٤].

وقال: وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له فلهذا فسر النبي ﷺ الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله» اهـ[٥].

وقال: اعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح» اهـ[٦].

وقال: الإيمان كله تصديق، فالقلب يصدق ما جاءت به الرسل واللسان يصدق ما في القلب والعمل يصدق القول. اهـ[٧].

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان وهما

---

(١) النهاية في غريب الحديث: حرف الهمزة باب الهمزة مع الميم.

(٢) يوسف: ١٧.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني كتاب الألف.

(٤) مجموع الفتاوى جـ٧: ص٥٩.

(٥) مجموع الفتاوى جـ٧: ص٢٦٣.

(٦) مجموع الفتاوى جـ٧: ص٣٨٨.

(٧) مجموع الفتاوى جـ٧: ص٥٥٥.

تصديق الخبر وطاعة الأمر. اهـ[١].

وقال: وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السنة بأن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده ولا معرفة القلب مع ذلك بل لابد فيه من عمل القلب وهو حبه لله ورسوله وانقياده لدينه والتزامه طاعته ومتابعة رسوله. اهـ[٢].

ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول: الصدق، والعمل الصالح: إيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[٣] أي: صلاتكم، وجعل الحياء، وإماطة الأذى من الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم وغيره: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، وأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٤]. وهذا غالب الاستعمال الشرعي، وجعل النبي ﷺ أصل الإيمان ستة أشياء في خبر جبريل حيث سأله فقال: ما الإيمان؟ و الخبر معروف، عن أبي هريرة قال: كان ﷺ بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث[٥]..

٣- الدين: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٦].

ومعناه لغة: الدينُ: بالكسر: العادة والشأن ودَانَهُ يدينه دينًا بالكسر: أذله واستعبده فَدانَ، والدين: أيضًا الجزاء والمكافأة.

والدين: أيضًا الطاعة تقول دان له يدين دينًا أي أطاعه[٧].

وشرعًا: في أسماء الله تعالى (الدَّيَّان) قيل هو القهارُ، وقيل: هو الحاكمُ

---

(١) مفتاح دار السعادة جـ١: ص٤٠.

(٢) مفتاح دار السعادة جـ١: ص٩٤.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) مسلم كتاب الإيمان (٣٥)، والبخاري بلفظ بضع وستون.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم.

(٦) الحج: ٧٨.

(٧) مختار الصحاح (د ى ن).

والقاضي، وهو فعَّالٌ من دانَ الناسَ: أي قهـرهم على الطاعة يقال دنتهم فدانوا: أي قهرتهم فأطـاعوا، وفي حديث الخوارج «**يمرقون من الدين مـروق السهم من الرمـية**» قال الخطابي: فـمعنى قوله ﷺ يمرقون من الدين أراد الدين الطاعـة: ومنه حديث عليّ ابن أبي طالب قال له ﷺ: «**أريد من قريش كلمة تدين لهم بها العرب**» أي: تطيعهم وتخضع لهم. اهـ[1].

٤- الدين القيم:

لغة: قيم الأمر المصلح له[2]. كما في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[3].

ومعناه شرعًا: القائم المستقيم أي القويم الذي لا اعوجاج فيه[4]- القويم: الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق[5]*.

٥- الدين الخالص:

لغـــة: قال في القـاموس المحيط: باب الصـاد فصل الخـاء: خَلُصَ، خلُوصًا، وخالِصة: صار خالصًا، والخالص: كل شيء أبيض، وخالصهُ: صَافاهُ.

وفي مختار الصحاح (خ ل ص): خَلُصَ الشيء صار خالصًا وخلص إليه الشيء وصل وخلصه من كذا تخليـصًا أي نجاه فتخلص، وخُلاصـة السمن بالضم ما خلص منه، وكذا خِلاصته بالكسر.

والإخلاص أيضًـا في الطاعة: ترك الرياء وقـد أخلص لله الدين، وخـالصَهُ في العشرة صافاه وهذا الشيء خالِصة لك أي خاصة. اهـ.

وفي مفردات ألفـاظ القرآن: كتاب الخاء: الخالص: كـالصافي إلا أن الخالص هو

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني.
(٢) القاموس المحيط - باب الميم، فصل القاف.
(٣) يوسف: ٤٠، الروم: ٣٠.
(٤) تفسير القرطبي.
(٥) النهاية في غريب الحديث، باب القاف مع الياء.

* قلت: ويشهد له قوله تعالى: ﴿ولم يجعل له عوجا قيما﴾ الكهف: ١، ٢.

ما زال عنه شَوْبه بعد أن كان فيه.

شرعًا: هو العبادة والطاعة الخالصة التي لا شرك لأحد مع الله فيها. كما في قوله تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[1]*.

٦- الحق: دين الحق:

كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾[2]، وكما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[3].

ومعناه لغة: ضد الباطل (ويطلق على العدل والإسلام، والصدق، والموت، وواحد الحقوق، حقيقة الأمر)[4].

شرعًا: قال أبو إسحاق: الحق: أمر النبي ﷺ وما أتى به من القرآن[5].

٧- البر:

كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[6].

ومعناه لغة: الصلة والخير والاتساع في الإحسان[7]، والبر: الصدقة والطاعة[8].

---

(١) الزمر: ١.

* راجع تفسير القرطبي عند تأويل قوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾.

(٢) الحديد: ١٦. (٣) الفتح: ٢٨.

(٤) القاموس المحيط: (باب القاف فصل الحاء).

(٥) لسان العرب: (حقق). (٦) البقرة: ١٧٧.

(٧) القاموس المحيط: باب الراء، فصل الباء.

(٨) لسان العرب: (ب ر ر).

شرعًا: قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾، البر هنا الطاعة والعمل الصالح، و «البر»: الصدق. اهـ[١].

٨- الصدق:

كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٢]، وكما في قوله تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ...﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٤].

الصدق لغة: بالكسر والفتح: ضد الكذب، وبالفتح الصلب المستوى من الرماح والرجال، والكامل من كل شيء[٥].

والصديق: على وزن فعيل للمبالغة في الصدق وهو الذي يصدق قوله بالعمل[٦].

وشرعًا: القرآن وما جاء به الرسول ﷺ، قال الليث: التصديق هو أن يصدق بكل ما أمر الله لا يُخَالِجه في شيء منه شك» اهـ[٧].

والصدق[٨]: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًا، بل إما يوصف بالصدق وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد «محمد رسول الله» فإن هذا يصح أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره، ويصح أن يقال صَدَق: لكون المُخْبَر عنه كذلك وبالوجه الأول: كذب الله تعالى المنافقين حيث قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾[٩] اهـ.

---

(١) تفسير القرطبي، تفسير سورة البقرة. (٢) التوبة: ١١٩.

(٣) الأحزاب: ٨. (٤) الزمر: ٣٢.

(٥) القاموس المحيط: باب القاف، فصل الصاد.

(٦) النهاية في غريب الحديث. حرف الصاد، باب الصاد مع الدال.

(٧) لسان العرب: (صدق).

(٨) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني: كتاب الصاد (صَدَق).

(٩) المنافقون: ١.

ويقال صدق: بمعنى تصدق كما في قوله تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ﴾[١].

وذلك في وجه من وجوه معنى الآية. ذكره القرطبي وغيره.

٩- الإحسان:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٣].

لغة: الحُسن بالضم: الجَمَال: والإحسان ضد الإساءة، والحسنة ضد السيئة[٤]اهـ.

ويحسن الشيء إحسانًا أي: يَعْلَمُه.

شرعًا: عرفه النبي ﷺ في الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه...»[٥] الحديث فيه إشارة إلى الإخلاص الذي هو شرط في صحة الدين، وقيل أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة فإن مَنْ رَاقَبَ الله أحسن عمله وقد أشار إليه في الحديث بقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» اهـ[٦].

والإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير يقال أحسن إلى فلان، والثاني: إحسان في فعله: وذلك إذا عَلم عِلمًا حسنًا أو عمل عملاً حسنًا وعلى هذا قول أمير المؤمنين: (الناس أبناء ما يحسنون)[٧].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[٨]، والإحسان أعم من الإنعام قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾[٩].

---

(١) القيامة: ٣١. (٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) النساء: ١٢٥. (٤) القاموس المحيط: باب النون، فصل الحاء.

(٥) البخاري كتاب الإيمان (٥٠).

(٦) النهاية في غريب الحديث: حرف الحاء، باب الحاء مع السين.

(٧) انظر: البصائر ٢/ ٤٦٥، والذريعة ص٢٤، ونهج البلاغة ص٦٧٤، وفيه: (قيمة كل امرئ ما يحسنه) أي: منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة.

(٨) السجدة: ٧. (٩) الإسراء: ٧.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾[١].

فالإحسان فوق العدل وذاك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ماله والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له[٢].

فالإحسان زائد على العدل، فتحرى العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[٣] وقوله عز وجل: ﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾[٤].

ولذلك عظمَ الله تعالى ثواب المحسنين فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾[٨] اهـ.

١٠- الإخلاص:

لغة: خَلَصَ خلُوصًا وخالِصة، صارَ خالِصًا، والخالِصُ: كل شيء أبيض، وخَالَصَهُ: صَافَاه[٩].

قال الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن: قوله: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[١٠]، ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[١١] فإخلاص المسلمين أنهم قد تبرءوا مما يدعيه اليهود من التشبيه، والنصارى من التثليث قال تعالى: ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[١٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾[١٣].

---

(١) النحل: ٩.
(٢) انظر نهج البلاغة ص٧٠٨.
(٣) النساء: ١٢٥.
(٤) البقرة: ١٧٨.
(٥) العنكبوت: ٦٩.
(٦) البقرة: ١٩٥.
(٧) التوبة: ٩١.
(٨) النحل: ٣٠.
(٩) القاموس المحيط: باب الصاد، فصل الخاء.
(١٠) البقرة: ١٣٩.
(١١) يوسف: ٢٤.
(١٢) الأعراف: ٢٩.
(١٣) مريم: ٥١.

فحقيقة الإخلاص: التبري عن كل ما دون الله تعالى اهـ.

١١- التقوى:

لغة: من وقى وقاه وقيا، ووقاية، وأقيه: صَانُه، واتقيت الشيء: حذرته والاسم التقوى، قال تعالى: ﴿هو أهل التقوى﴾ أي: أهلٌ أن يُتقَى عقابه اهـ[١].

ويُقَال: أصلها في اللغة قلة الكلام.. حكاه ابن فارس.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٤].

شرعًا: التقي: هو الذي يتقى بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزًا بينك وبينه.

وسأل عمر بن الخطاب ﷺ أُبيًّا عن التقوى فقال: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فما عملت فيه؟ قال: تشمرت وحذرت، قال: فذاك التقوى[٥]. وقيل: التقوى فيها جِماع الخير كله وهي وصية الله في الأولين والآخرين. اهـ[٦].

ومن أحسن ما جاء في معنى التقوى شرعًا: ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن طلق بن حبيب أنه قيل له: ألا تجمع لنا التقوى في كلام يسير؟ قال: التقوى: العمل بطاعة الله على نور من الله، رجاء رحمة الله، والتقوى: ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله. اهـ.

---

(١) القاموس المحيط: باب الواو والياء، فصل الواو. (٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) البقرة: ١٩٤. (٤) البقرة: ١٩٧.

(٥) أخرجه ابن كثير في تفسيره سورة البقرة آية: ٢.

(٦) ذكره القرطبي في بيان قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ البقرة: ٢.

١٢- العبادة:

كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾[٣].

وهذا الاسم من أسماء الدين والعقيدة هو خطاب مُعْظَم الأنبياء لأقوامهم فكثير في القرآن يقول الله عز وجل: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[٥].

ومعناه لغة: المُعَبَّد: المُذَلل من الطريق وغيره وتَعَبَّدَ: تَنَسَّكَ، والعبودية والعبادة لغة: الطاعة.

وشرعًا: عُرفت بتعريفات كثيرة من أجمعها: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة)*.

١٣- الرشد:

كما في قوله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[٩].

الرشد لغة: رشَدَ، رَشَدًا ورشادًا: اهتدى، والرشد: الاستقامة على طريق الحق

---

(١) البقرة: ١٩٧. (٢) آل عمران: ٥١.

(٣) الأنعام: ١٠٢. (٤) الأعراف: ٦٥.

(٥) الذاريات: ٥٦.

* قلت: هو وصف الدين إذا تحقق في حال العبد قلبًا وقالبًا.

(٦) البقرة: ٢٥٦. (٧) الأعراف: ١٤٦.

(٨) غافر: ٣٨. (٩) الجن: ٢.

مع تَصَلُّب فيه[١].

معناه شرعًا: خلاف الغي، قال الهروي: الرشد الهدى والاستقامة ومنه قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾[٢]. والرشد: الهدى والبيان.

١٤- الصراط المستقيم:

كما في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ مَن يَشَأ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٨].

ومعناه لغة: الصراط: بالكسر الطريق، وجسر ممدود على متن جهنم وبالضم السيف الطويل[٩] .. والمستقيم: الطريق البيِّن الممتد الواضح، والمستقيم: سبق بيانه في معنى «الدين القيم».

المعنى شرعًا: الصراط المستقيم: هو حبل الله المتين الذي أمده لعباده، وهو دين الله، قال محمد ابن الحنفية: (هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره).

---

(١) القاموس المحيط: باب الدال، فصل الراء.

(٢) القرطبي، آية البقرة: ١٨٦.

(٣) الفاتحة: ٦.

(٤) البقرة: ٢١٣.

(٥) الأنعام: ٣٩.

(٦) الأنعام: ١٢٦.

(٧) الأنعام: ١٥٣.

(٨) الأنعام: ١٦١.

(٩) القاموس المحيط، باب الطاء - فصل الصاد.

١٥- الهدى:

كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾[(٣)].

ومعناه لغة: الهدى: بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد والدلالة والنهار، وهداه هدى: أرشده فهدى واهتدى[(٤)].

والهداية: دلالة بلطف، ومنه: الهدية، (وما يكون دلالة يقال: هديت وما يكون هدية يقال: أهديت) اهـ[(٥)].

شرعًا: الهدى ضد الضلال (وسيأتي له تفصيل).

١٦- الصلاح:

كما في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٨)].

الصلاح لغة: ضد الفساد، وأصلحه: ضد أفسده، والصُّلح: بالضم: السِّلم[(٩)].

وشرعًا: ضد الفساد في الدين، والإصلاح يكون بإزالة ما في النفس من فساد بعد وجوده[(١٠)]*.

---

(١) البقرة: ١٦. (٢) البقرة: ٣٨.

(٣) البقرة: ١٢٠.

(٤) القاموس المحيط: باب الواو والياء، فصل الهاء.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: كتاب الهاء. (٦) آل عمران: ٨٩.

(٧) النساء: ١٢٩. (٨) المائدة: ٣٩.

(٩) القاموس المحيط: باب الحاء، فصل الصاد. (١٠) مفردات ألفاظ القرآن.

* قلت: فيكون المعنى: استعمال أمر الدين للوصول إلى صلاح النفس الأمارة بالسوء لذلك سُمي إصلاحًا.

١٧- النور:

كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[٤].

ومعناه لغة[٥]: بالضم: الضوء أيًّا كان، أو شعاعه، ونَوَّرَ الصباح تنويرًا: أي ظهر نوره، والمنارة والمنورة: موضع النور.

وشرعًا: قال قتادة: الظلمات: الضلالة، والنور: الهدى وقيل النور: التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ.

١٨- الخير:

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٩].

الخير لغة: ضد الشر، وجمعه خيور، والخيرة: هي الفاضلة من كل شيء وجمعها: الخيرات[١٠]، ويطلق الخير على المال لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾[١١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ...﴾[١٢].

---

(١) البقرة: ٢٥٧.
(٢) النساء: ١٧٤.
(٣) المائدة: ١٥.
(٤) الأنعام: ١٢٢.
(٥) القاموس المحيط: باب الراء. فصل النون.
(٦) البقرة: ١٩٧.
(٧) آل عمران: ٣٠.
(٨) آل عمران: ١٠٤.
(٩) الأنفال: ٧٠.
(١٠) لسان العرب: (خ ى ر).
(١١) البقرة: ٢٧٢.
(١٢) العاديات: ٨.

شرعًا: كل هدى وبر وفضيلة، ومنه الإنفاق في سبيل الله والدعوة إلى الدين، قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[(١)].

١٩- القسط:

كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ** ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ **وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ** ﴾[(٣)].

لغة: بالكسر: القِسط: العدل، والحصة من الشيء والمقدار والرزق والميزان[(٤)]، وأقْسَطَ: يقسط فهو مقسط (عدل وقسط فهو قاسط: إذا جار)[(٥)].

شرعًا: هو النصيب بالعدل (الجزاء)، وهو إقامة العدل في كل شيء وترك الجور بكل وجه وهو حقيقة الدين اعتقادًا وقولاً وعملاً ولذلك جعل الشرك من أعظم الجور قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[(٦)].

٢٠- العهد:

كما قال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ** ﴾[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾[(٨)]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ** ﴾[(٩)]، وقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** ﴾[(١٠)].

العهد لغة: الوصية، والمُوثق واليمين- عَهِد إليه: أوصاه، والعهد: رعاية الحرمة والأمانة والذمة، وفي الحديث عنه ﷺ: «**وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت..**»[(١١)].

---

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) الأعراف: ٢٩.
(٣) آل عمران: ٢١.
(٤) القاموس المحيط: باب الطاء، فصل القاف.
(٥) لسان العرب: (ق س ط).
(٦) لقمان: ١٣.
(٧) البقرة: ٤٠.
(٨) آل عمران: ٧٧.
(٩) الأعراف: ١٠٢.
(١٠) يس: ٦٠.
(١١) البخاري كتاب الدعوات (٦٣٠٦).

شرعًا: أي أنا مُقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك والإقرار بوحدانيتك[١].

٢١- الأمانة:

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾[٢].

معناه لغة: الأمانة: ضد الخيانة، والخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خنت فلانًا، وخنت أمانة فلان، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾[٣] أهـ[٤].

شرعًا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾ أي: الفرائض المفروضة، أو النية التي يعتقدها فيما يُظْهِرهُ باللسان من الإيمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لأن الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لأحد من خلقه، فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة[٥].

س٤: عَرِّف العقيدة من حيث المعنى ومن حيث كونها علمًا مع بيان فائدة هذا العلم وغايته ومسائله وأسمائه؟

ج: **العقيدة**. . . لغة: العَقْد: نقيض الحَلِّ؛ ويقال: عَقَدَه يَعْقِدُه العقد: عقدًا. وعقَّده. العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل، وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرهما، قال تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾[٦].

وعقد لسانه: احتبس قال تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾[٧]، وقال تعالى:

---

(١) النهاية في غريب الحديث، وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أوفوا بعهدي﴾ أي: أوفوا في أداء الفرائض على السُّنة والإخلاص.

(٢) الأحزاب: ٧٢.

(٣) الأنفال: ٢٧.

(٤) القاموس المحيط، النهاية في غريب الحديث.

(٥) القاموس المحيط.

(٦) المائدة: ٨٩.

(٧) طه: ٢٧.

﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[(١)] وهي ما تعقده الساحرة ومنه قيل للساحر: معقد. اهـ[(٢)].

واعتَقَدَ الشيء: صَلُبَ واشتد. والبصيرة: عَقِيدةُ القلب.

قال الليث: البَصِيرَةُ اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر.

اصطلاحًا: المعنى الذهني الجازم (أي ما ينجزم في الذهن والوجدان والقلب بغير ريب أو تردد).

شرعًا: هي الإيمان بكل ما يلزم الإيمان به على الوجه الشرعي الموافق لدليل الكتاب والسنة... فالعقيدة هي الإيمان والإسلام من حيث ما يربط عليه القلب من معاني وأحكام العلوم الشرعية.

فائدة علم العقيدة وغايته:

الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان وإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم، وحفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبهة المبطلين وأن تبنى عليه العلوم الشرعية، فإنه أساسها، وإليه يئول أخذها وأساسها، فإنه ما لم يثبت وجود صانع، عالم قادر، مُكَلف، مُرْسِل للرسل، مُنزِل للكتب، لم يُتصور علم تفسير، ولا علم فقه وأصوله، فكلها متوقفة على علم العقيدة مقتبسة منه، فالأخذ فيها بدونه كبَانٍ على غير أساس.

وغاية هذه الأمور كلها: الفوز بسعادة الدارين، ومن هذا تبين مرتبة العقيدة أي شرفها فإن شرف الغاية يستلزم شرف العلم وأيضًا دلائلها يقينية يحكم بها صريح العقل، وقد تأيدت بالنقل وهي: أي شهادة العقل مع تأيدها بالنقل هي الغاية في الوثاق إذ لا تبْقَى حينئذ شبهة في صحة الدليل.

وأما مسائله التي هي المقاصد: فهي كل حكم نظري لمعلوم والعقيدة هي العلم الأعلى إذ تنتهي إليه العلوم الشرعية كلها وقد تثبت موضوعاتها وحيثياتها، فليست له

---

(١) الفلق: ٤.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن.

مبادئ تبين في علم آخر شرعيًا أو غيره، بل مبادئه إما مبينة بنفسها أو مبينة فيه، فمن العقائد يستمد غيرها من العلوم الشرعية فهي رئيس العلوم الشرعية على الإطلاق، وبالجملة: فعلماء الإسلام وقد دونوا إثبات العقائد الدينية المتعلقة بالله، وصفاته، وأفعاله، وما يتفرع عليها من مباحث النبوة، والمعاد، علمًا يتوصل به إلى إعلاء كلمة الحق فيها، ولم يرضوا أن يكونوا محتاجين فيه إلى علم آخر أصلاً. فأخذوا موضوعه على وجه يتناول تلك العقائد سواء كان توقفها عليها باعتبار مواد أدلتها واعتبار صورها.

أسماؤه: سماه أبو حنيفة- رحمه الله- بـ «الفقه الأكبر» وفي «مجمع السلوك» ويسمى بـ «علم النظر والاستدلال» أيضًا ويسمى أيضًا بـ «علم التوحيد والصفات»، وفي «شرح العقائد» للتفتازاني: العلم المتعلق بالأحكام الفرعية أي العلمية يسمى «علم الشرائع والأحكام» وبـ «الأحكام الأصلية» أي الاعتقادية يسمى «علم التوحيد والصفات» اهـ[1].

س٥: عرف الكفر مبينًا معناه وحقيقته؟

ج: **الكفر لغة:** الكُفْرُ (بالضم) ضد الإيمان، ويُفْتَحُ، وأصل الكفر في كلام العرب: الستر والتغطية، ومنه سمى الليل كافرًا لأنه يغطي كل شيء بسواده، والكافر أيضًا: البحر والنهر العظيم، والكافر: الزارع. والجمع: كفار، قال الله تعالى: ﴿ **كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ** ﴾[2]. يعني الزراع لأنهم يغطُّون الحَبَّ، ورماد مكفور: سَفَّت الريح عليه التراب والكافر من الأرض: ما بَعُدَ عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر به أحد، ومن حَلَّ بتلك المواضِع فَهُم أهْل الكُفُور.

وهو نقيض الإيمان: يقال آمنا بالله وكفَرْنَا بالطاغوت، كَفَر بالله يكْفر كُفْرًا وكُفُورًا وكُفْرانًا، وكفرَ نعمة الله يكفرها كفورًا وكفرانًا وكفر بها: جحدها وسترها. ورجل كافِر: جَاحِد لأنْعُم الله، مشتق من الستر، وقيل لأنه مُغَطى على قلبه،

---

(١) شرح العقائد للتفتازاني (جـ٢/ ٦٩). (٢) الحديد: ٢٠.

والجمع: كُفَّار وكَفَرة وكِفارٌ مثل جائع وجياع ونائم ونيام، وجَمْع الكافِرةُ: كَوافِرُ.

وشرعًا: قال بعض أهل العلم: الكفر على أربعة أنحاء:

كفر إنكار: بأن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد، وكذلك روى في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾[1] أي الذين كفروا بتوحيد الله.

وكفر جحود: بأن يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه فهو كافر جاحد ككفر إبليس وكفر أمية بن أبي الصلت، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾ يعني كفر الجحود.

وكفر معاندة: وكفر المعاندة هو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به حسدًا وبغيًا ككفر أبي جهل وأضرابه، وحقيقته أن يعترف بقلبه ويقر بلسانه ويأبى أن يقبل كأبي طالب حيث قال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

وكفر نفاق: فهو أن يقر بلسانه ويكفر بقلبه ولا يعتقد بقلبه اهـ[2].

وهذه الأقسام الأربعة لعلها أصل لكثير جدًا من صور الكفر العملية والعقدية فهي أصول يتفرع منها صور شتى... والكفر شرعًا ينقسم إلى أكبر يُخْرِج عن الملة، وأصغر لا ينقل عن الملة، (وسيأتي لذلك تفصيل إن شاء الله).

س٦: عرِّف الشرك واذكر أنواعه؟

ج: الشرك لغة: الشِّرْكُ والشركة والمشاركة. خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعدًا عينًا كان ذلك الشيء أو معنى، كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية

(١) البقرة: ٦.

(٢) راجع لسان العرب والقاموس المحيط وتفسير القرطبي (البقرة آية ٦).

ومشاركة فرس وفرس في الكمتة، والدهمة، وأشرك بالله: جعل له شريكًا في ملكه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، والاسم: الشِّرْكُ. والشِّرْك: الكفر، وقد أشرك فلان بالله، فهو مشرك ومُشْركيٌّ.

وشرعًا: أن يجعل لله شريكًا في ربوبيته وإلهيته تعالى الله عن الشُّركاء والأنداد، وحقيقته أن تعْدِل بالله غيره فتجعله شريكًا له، ومن عدل به شيئًا من خلقه فهو كافر مشرك، لأن الله لا شريك له ولا ند له ولا نديد، وفي الحديث: «**مَنْ حلَفَ بغير الله فقد أشرك**»[١] حيث جَعَلَ ما لا يُحْلَف به محلوفًا به كاسم اللهِ الذي به يكون القَسَمُ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك مَنْ عمِل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

وهو في الشرع على ضربين:

أحدهما: الشرك الأكبر وهو إثبات شريك لله تعالى. يُقال أشْرَك فلان بالله وذلك أعظم الكفر قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا**﴾[٥].

والثاني: الشرك الأصغر: وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو كالرياء والنفاق الأصغر المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿**جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[٧].

وقال بعضهم: معنى قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ أي: واقعون في شرك

---

(١) الترمذي: كتاب النذور والإيمان ١٥٣٣، وأبو داود الأيمان والنذور (٣٢٥١).
(٢) النساء: ٤٨.
(٣) النساء: ١١٦.
(٤) الممتحنة: ١٢.
(٥) الأنعام: ١٤٨.
(٦) الأعراف: ١٩٠.
(٧) يوسف: ١٠٦.

الدنيا أي حبالتـها، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾[١]: محمول على المشركين اهـ[٢].

س٧: عرف البدعة مع بيان حقيقتها، وهل منها ما هو حَسَنٌ وما هو سيء أم كل بدعة ضلالة؟

ج: **البدعة لغة**: البَدِيعُ: المُبْتَدِعُ والمُبْتَدَعُ، وبدَع الشيء يَبْدَعُه بَدْعًا وابْتَدَعَه: أنشأه وبدأه، والبِدْعُ: بالكسر: الأمر الذي يكون أولاً.

واالبِدْعة بالكسر: الحَدَثُ في الدين بعد الإكمال أو ما اسْتُحْدِثَ بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال، وبَدَّعه تَبْدِيعا: نَسَبَه إلى البِدعة وأَبْدَعَ وابْتَدَعَ وتَبَدَّع: أتى ببدعة، قال الله تعالى: ﴿**ورهبانية ابتدعوها**﴾ وفي أسماء الله تعالى «البديع» هو الخالق المخترع من غير مثال سابق يقال: أبدعَ فهو مُبْدِع، وفي القرآن ﴿**قل ما كنت بدعا من الرسل**﴾ أي: ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير.

وفي الشرع: هي محدثات الأمور وهي ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها.

وفي الحديث: «**إياكم ومحدثات الأمور**»[٣] جمع مُحْدَثَة بالفتح: وهي ما لم يكن معروفًا في كتاب ولا سنة ولا إجماع، وقال النبي ﷺ: «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٤]. وفي حديث المدينة: «**مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أو آوَى مُحْدِثًا**»[٥].
والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المتقنة اهـ[٦].

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) سيأتي لذلك مزيد بيان، راجع لسان العرب، القاموس المحيط، ومفردات ألفاظ القرآن.

(٣) رواه أبو داود كتاب السُّنة (٤٦٠٧).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري كتاب الحج (١٨٦٧)، ومسلم كتاب الحج (١٨٦٦).

(٦) راجع لسان العرب، القاموس المحيط، مفردات ألفاظ القرآن.

وقد عرفها الشاطبي في الاعتصام تعريفًا جامعًا فقال: البدعة: طريقة في الدين مُخْتَرَعَة تُضَاهِي الشَّرْعِية، يُقْصَدُ بالسلوكِ عليها المُبَالغَة في التعبد لله تعالى.

وتنقسم البدعة من حيث حقيقتها إلى:

بدعة لغوية: ومن هذا النوع قول عمر ﷺ: «**نعمت البدعة هذه**» في قيام رمضان لما كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح سَمَّاها بدعة ومدحها لأن النبي ﷺ لم يَسُنَّها لهم، وإنما صلاها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر ﷺ وإنما عمر ﷺ، جمع الناس عليها وندَبهم، فبهذا سماها بدعة، وهي على الحقيقة سنة لقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»[1]، وقوله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر**»[2].

بالإضافة إلى ثبوت اجتماع الناس على قيام رمضان أيامًا فهو سنة أصلاً.

بدعة حقيقية: وهي ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة بوجه من الوجوه، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وهي ما يتحقق فيه الابتداع بحقيقته وليس مجرد اسم، وعلى هذا المعنى يحمل الحديث الآخر: «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»[3]. وما في معناه من الأحاديث.

والبدعة على هذا المعنى كلها مذمومة ليس منها ما هو حَسَن، بل كل بدعة ضلالة، ولكن الحسن في البدع اللغوية فقط فتنبه يرحمني الله وإياك.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الترمذي كتاب المناقب (٣٦٦٢)، وابن ماجه المقدمة (٩٧)، وأحمد في المسند.

(٣) رواه مسلم.

س٨ : الفسق من المسميات التي استعملها الشرع. ما حقيقة هذا الاسم وعلى أي معنى استعمله الشرع؟

ج : الفسق: لغة: فَسَقَ، فسقًا، وفُسوقًا: أي خَرَج، وفسقت الرُّطبَة عن قشْرِها: خرجت، والفُوَيْسِقة: الفأرةُ لخُروجها من جُحْرِها على الناس، وفَسُقَ فُسوقًا: أي: فجَر وسمى الفاسِق فاسقًا: لانْسلاخه عن الخَير، والفسيقُ: الدائم الفِسق، والفواسِق: من النساء: الفَوَاجِرُ، والتفسيقُ ضد التَّعْديل.

وفي الشرع: الفِسْقُ، بالكسر: التَّرْكُ لأمْرِ الله تعالى، والعِصيانُ والخروج عن طريق الحق أو الفجور، وأصل الفُسوق: الخروج عن الاستِقَامة، وبه سُمِّي العاصي فاسِقًا، وقيل: الفُسوق الخروج عن الدين، وكذلك الميل إلى المعصية كما فَسَقَ إبليسُ عن أمر ربه أي جَارَ ومَالَ عن طاعته، يقال: فسق فلان أي خرج عن جحر الشرع.

والفسق أعم من الكفر: والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير لكن تعورف فيما كان كثيرًا، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به، ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضها وإذا قيل للكافر الأصلي: فاسق فلأنه أخَلَ بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة، وألزم به الربُّ من الإيمان به قال الله تعالى: ﴿**فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾[١]، ﴿**فَفَسَقُوا فِيهَا**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا**﴾[٥]، فقابل به الإيمان. فالفاسق أعم من الكافر، والظالم أعم من الفاسق. اهـ[٦].

---

(١) الكهف: ٥٠. (٢) الإسراء: ١٦.

(٣) النور: ٥٥.

(٤) يونس: ٣٣.

(٥) السجدة: ١٨.

(٦) راجع لسان العرب، القاموس المحيط، مفردات ألفاظ القرآن.

س٩ : ما حقيقة الظلم وعلى أي معنى وقع في الشرع؟

ج: **الظلم**: الظُّلم بالضم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، وهو ضد العدل، والمصدر الحقيقي: الظلم بالفتح ظلم يظلم ظلمًا بالفتح، فهو ظالم وظلوم، وظلم الأرض: حفرها في غير موضع حفرها، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾[1] أي: لم تنقص، ولزموا الطريق فلم يظلموه: أي لم يعدلوا عنه: يقال: أخذ في طريق فما ظلم يمينًا ولا شمالاً. والظلِّيم بوزن السكِّيت الكثير الظلم والظلمة ضد النور.

وفي الشرع: الظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويُقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير. ولذلك قيل لآدم عليه السلام في تعديه ظالم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾[3]، ولا يقال ذلك إلا مع الآية دون الإطلاق، وفي إبليس ظالم وإن كان بين الظُّلْمَين بَوْن بعيد، قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة:

الأول: **ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى**: وأعظمه الكفر والشرك والنفاق ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4] وإياه قصَد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[5]، و ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[6]، في آي كثيرة، وقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾[7].

والثاني: **ظُلم بينه وبين الناس**: وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[8]، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ

---

(١) الكهف: ٣٣. (٢) البقرة: ٣٥.

(٣) الأعراف: ٢٣. (٤) لقمان: ١٣.

(٥) هود: ١٨. (٦) الإنسان: ٣١.

(٧) الزمر: ٣٢. (٨) الشورى: ٤٠.

النَّاس﴾[١]، وبقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾[٢].

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه: وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[٤]، وقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥]، أي من الظالمين أنفسهم، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٦].

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه، فإن الظالم أبدًا مبتدئ في الظلم، ولهذا قال تعالى في غير موضع: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[٩]، فقد قيل: هو الشرك بدلالة أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقال لهم: «ألم تروا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١٠]»، أخرج أحمد والبخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يظلم نفسه؟! قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إنما هو الشرك»[١١].

والاعتداء: تجاوز الحد في كل شيء، وعرف في الظلم والمعاصي إذ الظلم يتضمن العدوان... والطغيان تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه وذلك أن الظلم منه صغيرة ومنه كبيرة، فمن تجاوز منزلة الصغيرة فقد طغى ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ

(١) الشورى: ٤٢. (٢) الإسراء: ٣٣.
(٣) فاطر: ٣٢. (٤) النمل: ٤٤.
(٥) البقرة: ٣٥. (٦) البقرة: ٢٣.
(٧) النحل: ٣٣. (٨) البقرة: ٥٧.
(٩) الأنعام: ٨٢. (١٠) لقمان: ١٣.
(١١) انظر: الدر المنثور ٣/٣٠٨، وفتح الباري ٨/٢٩٤ كتاب التفسير، ومسلم برقم ١٢٤، والمسند ١/٤٢٤.

الإنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾[١] أي يتجاوز الحد في الخروج عن الحق... والبَغْي: الظلم وتجاوز الحد فيه.

الهضم: ظلم وإن افترقا من وجه، والفرق بين الظلم والهضم أن الظلم المنع من الحق كله، والهضم: المنع من بعضه، والعُتُو: أشد الكفر وأفحش الظلم[٢].

***

فصل

في التوحيد وأقسامه

س١٠: ما أقسام التوحيد*؟

ج: مبنى الإسلام على توحيد الله عز وجل*، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣] ولابد مع التوحيد من الجمع بين النفي والإثبات لأن النفي وحده تعطيل والإثبات وحده لا يمنع المشاركة فلا توحيد إلا بنفي وإثبات، وقد قسمه العلماء بالتتبع والاستقراء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وقد جمع الله هذه الأقسام في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٤].

وقد قسمه بعض العلماء إلى قسمين فأدخل الأسماء والصفات في الربوبية وليس في ذلك اختلاف أو تعارض.

---

(١) العلق: ٦.

(٢) راجع القرطبي، القاموس المحيط، ومفردات ألفاظ القرآن.

(٣) الأنبياء: ١٠٨. (٤) مريم: ٦٥.

* تقريب التدمرية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص١١٠.

س١١ : عرف توحيد الربوبية مع بيان حقيقته؟

ج: توحيد الربوبية: يُعْرف بطريقتين: **الأولى:** بيان لفظ توحيد، ولفظ ربوبية.

توحيد: يعني إفراد (نفي الشريك أو الند أو المثِيل).

ربوبية: إثبات مقتضيات الربوبية (من مُلْك وسيطرة وتصرِيف) لله عز وجل.

ومن مجموع معنى اللفظين يكون معنى الربوبية إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير، وبالجملة فتوحيد الربوبية «هو التعريف بالله عز وجل».

الطريقة الثانية: هي تعريف توحيد الربوبية بأنه: التوحيد العلمي الخبري ويُعْرَف أيضًا بتوحيد المعرفة والإثبات، ويُعْرَف أيضًا بتوحيد الله بأفعاله بأنه الخالق المحي المميت، الرزاق..

وحقيقة توحيد الربوبية: إفراد الله عز وجل بالخلق فلا يثبت خالق غيره وإفراده سبحانه بالملك: فليس لأحد غيره ملك، وليس معه في ملكه شريك، وكذا إفراده سبحانه بالتدبير والتصرف فلا يعطى ولا يمنع ولا يعز ولا يذل ولا يضر ولا ينفع، ولا يهب ويرزق غيره.

س١٢ : اذكر بعض ما يدل على توحيد الربوبية من الكتاب والسنة؟

ج: من أدلة توحيد الربوبية في الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾[3].

ومن أدلته من السنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله وَكَل في الرَّحم ملكًا فيقول يا رب: نُطفة يارب عَلَقَة يارب مُضْغَة فإذا أراد أن يخلقها قال يارب: أذكَر يارب أنثى يارب شقي أم سعيد فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب**

(١) الأعراف: ٥٤. (٢) آل عمران: ١٨٩. (٣) سبأ: ٢٢، ٢٣.

كذلك في بطن أمه»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[٣].

س١٣: هل أقر المشركون بهذا النوع من التوحيد؟ ولِمَ لَمْ ينفعهم إقرارهم بهذا النوع من التوحيد؟

ج: نعم قد أقر المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ بهذا النوع من التوحيد ولم يكن ذلك عن إيمان صحيح بالربوبية ولكن مجرد إقرار باللسان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٧].

وأما لماذا لم ينفعهم هذا الإقرار فيقول ابن تيمية رحمه الله: فإن الربوبية العامة قد أقر بها المشركون الذين قال فيهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٨]،

---

(١) البخاري كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٣٣).

(٢) البخاري كتاب الجمعة: (١١٤٥).

(٣) البخاري كتاب الحج: (١٧٩٧).

(٤) الزخرف: ٨٧.

(٥) لقمان: ٢٥.

(٦) يونس: ٣١.

(٧) المؤمنون: ٩٠.

(٨) يوسف: ١٠٦.

وإنما يصير الرجل مسلمًا حنيفًا موحدًا إذا شهد أن لا إله إلا الله فعَبَدَ الله وحده بحيث لا يشرك معه أحدًا في تألهه ومحبته له وعبوديته وإنابته إليه وإسلامه له ودعائه له والتوكل عليه وموالاته فيه ومعاداته فيه ومحبته ما يحب وبغضه ما يبغض ويفنى بحق التوحيد عن باطل الشرك وهذا فناء يقارنه البقاء فيفنى عن تأله ما سوى الله بتأله الله تحقيقًا لقوله لا إله إلا الله فينفي ويفنى من قلبه تأله ما سواه ويُثبِت ويُبْقِي في قلبه تأله الله وحده وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»[١]، وفي الحديث الآخر: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٢] وقال في الصحيح: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[٣] فإنها حقيقة دين الإسلام فمن مات عليها مات مسلمًا، والله تعالى قد أمَرَنَا ألا نموت إلا على الإسلام في غير موضع كقوله تعالى: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[٤] اهـ[٥].

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

أما توحيد الربوبية: فقد أقر به المشركون وكانوا يعبدون مع الله غيره ويحبونهم كما يحبونه فكان ذلك التوحيد الذي هو توحيد الربوبية حجة عليهم فإذا كان الله هو رب كل شيء ومليكه ولا خالق ولا رازق إلا هو فلماذا يعبدون غيره معه، وليس له عليهم خلق ولا رزق ولا بيده لهم منع ولا عطاء بل هو عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا فإن قالوا ليشفع فقد قال الله: ﴿**مَن ذَا**

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان (٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند وأبو داود عن معاذ وفي صحيح الجامع برقم (٦٤٧٩).

(٣) أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة وفي صحيح الجامع (٥١٥٠).

(٤) آل عمران: ١٠٢.

(٥) الفتاوى جـ٨: ص ٣٧٠.

﴿الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[1] فلا يشفع من له شفاعة من الملائكة والنبيين إلا بإذنه. اهـ[2].

س١٤ : عرف توحيد الإلهية مع بيان حقيقته؟

ج: يُعْرَف توحيد الإلهية بتوحيد «القَصْد والطَّلَب» أو «التوحيد الإرَادِي الطَّلَبِي» بمعنى إفراد الله عز وجل في القصد والإرادة والنية وإفراده بالطلب ويُعرف كذلك «بأنه توحيد الله بأفعال العباد»، وحقيقته: إفراد الله تعالى بالعبادة بأنه وحده ولا يُعبد غيره من مَلَك أو رسول أو نبي أو وَلي أو شجر أو حجر أو شمس أو قمر أو غير ذلك كائنا مَنْ كان.

وبالجملة: فتوحيد الإلهية هو: حق الله عز وجل.

س١٥ : اذكر جملة من الأدلة الدالة على توحيد الإلهية؟

ج: من أدلته قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[6].

ومن السنة: ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عَمِلَ عَملاً أشْرَكَ فيه معي غيري تركتُه وشِرْكه»**[7] وأخرجَ البخاري عن مُعاذ رضي الله عنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النبي ﷺ على حمار يقال له عُفَير فقالَ: **«يا مُعاذ: هل تدري ما حَق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟»** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله: ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا»**، فقلت:

---

(١) البقرة: ٢٥٥. (٢) الفتاوى جـ١٤: ص٣٨٠.
(٣) النساء: ٣٦. (٤) الأنبياء: ٢٥.
(٥) البقرة: ١٦٣. (٦) آل عمران: ١٨.
(٧) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٥).

يارسول الله أفلا أُبَشِّر به الناس؟ قال: «لا تُبَشِّرْهُم فَيَتَّكِلوا»(١).

س١٦ : كيف يتحقق توحيد الإلهية؟

ج: يتحقق توحيد الإلهية بأن يُعْبَد الله وحده لا شريك له بشرعه الذي جاءت به رسله كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٢) فمن لم يعبد الله تعالى فهو مستكبر غير مُوَحِّد، ومن عَبَدَه وعَبَدَ غيره فهو مشرك غير موحد، ومن عبده بما لم يشرعه فهو مبتدع ناقص التوحيد حيث جعل لله تعالى شريكًا في التشريع.

* * *

فصل

في أصول أهل السنة والجماعة

س١٧ : ما معنى أصول أهل السنة والجماعة؟

ج: أصول أهل السنة والجماعة عبارة تتكون من شقين(٣):

١- **كلمة أصول**: فهي القواعد الشاملة والأسس التي يُبنَى عليها غيرها ويكون غيْرُها فَرْعًا لها، والأصل: أسفل الشيء وقاعدته.

٢- **أهل السنة والجماعة**: هم الذين على هدى الرسول ﷺ وأصحابه علمًا واعتقادًا، وقولاً وعملاً، وأدبًا وسلوكًا وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة، واستقاموا على الاتباع، وجانبوا الفُرقة والابتداع ويُطلق عليهم السلف الصالح، والفِرقة الناجية، والطائفة المنصورة وإنما اشتهرت التسمية به عندما ظهر الابتداع فأطلقت السنة مقابل البدعة والجماعة مقابل الافتراق.

---

(١) كتاب الجهاد والسير (٢٨٥٦).

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة) دار طيبة الخضراء مكة.

وقد سموا بأهل السنة لاتباعهم سنة النبي ﷺ وسموا بالجماعة لاجتماعهم على الحق واتباعهم منهج أئمته.

س١٨ : اذكر جملة من أصول أهل السنة والجماعة؟

ج: أصول أهل السنة كثيرة وقد صُنفت فيها التصانيف وإليك جملة منها[1]:

١- مصدر العقيدة هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح.

٢- كل ما ورد في القرآن الكريم وصَحَّ وثبت من سنة الرسول ﷺ فهو شرع للمسلمين يجب قبوله وإن كان آحاداً.

٣- المرجع في فَهْم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجهم من أئمة الهدى.

٤- لقد أتمَّ الله النعمة على الأمة بإكمال دينها، فليس لأحد تحت أي ستار أن يحدث شيئًا في دين الله زاعمًا أنه منه.

٥- يجب التسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا فلا يُعَارَضُ شيء من الكتاب والسنة الصحيحة بقياس أو ذوق أو كشف أو منام أو قول شيخ أو إمام.

٦- العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعيًا بينهما وعند توهم التعارض يقدم النقل على العقل.

٧- العصمة ثابتة لرسول الله ﷺ فيما أمره الله بتبليغه للناس وكذلك الأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة أما في أفرادها فلا عصمة لأحد منهم بل كلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَد إلا النبي ﷺ فيما يبلغه للناس من دين الله.

٨- المرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة وسؤال الله له بالمغفرة.

٩- يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد فلا تُرَد البدعة ببدعة ولا يقابل الغلو

(١) المرجع السابق.

بالتفريط.

١٠- **كل محدثة في الدين بدعة** وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

١١- **الأصل في أسماء الله وصفاته** إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، بل نؤمن بأنه سبحانه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[1].

١٢- **الإيمان بالملائكة الكِرام إجمالاً** وأما على التفصيل فبما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم.

١٣- **الإيمان بالكتب المنَزَّلة** وأن القرآن الكريم ناسخٌ لها وأن ما قبله من الكتب طرأ عليه التحريف.

١٤- **الإيمان بالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم**، وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر.

١٥- **الإيمان باليوم الآخر** وما يتقدمه من العلامات والأشراط.

١٦- **الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى**، وذلك بالإيمان بأنه الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون إلا ما يشاء، وأنه على كل شيء قدير فهو خالق كل شيء، وفعال لما يريد.

١٧- **الإيمان بشفاعة النبي ﷺ** وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم يوم القيامة لمن- رضي الله عنهم - وأذِنَ في الشفاعة لهم على التفصيل الذي وردت به الأدلة.

١٨- **لا يجوز صَرْف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل** فهو وحده المستحق للعبادة فلا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والاستعانة والنذر والذبح والتوكل والخوف

---

(١) الشورى : ١١.

والرجاء ونحوها لغير الله فقد أشرك.

١٩- من أصول العبادة أن الله يُعْبَد بالحب والخوف والرجاء جميعًا فَمَنْ عبَدَه بالحب وحده فهو زِنْدِيق ومَنْ عَبَدَه بالخوف وحده فهو حَرُورِي(١) ومَنْ عَبَدَه بالرجاء فهو مُرْجِئ.

٢٠- يجب التسليم والرضا والقبول والطاعة المطلقة لله عز وجل ولرسوله ﷺ في جميع الأحكام واعتقاد أن التحاكم إلى الطاغوت وتشريع مالَمْ يَأْذَن الله به واتباع شريعة الإسلام أو تبديل شيء منها كُفْر.

٢١- لا يعلم الغيب إلا الله وحده لا شريك له وقد يُطْلِعُ الله بعض رسله على شيء من الغيب واعتقاد أن أحدًا غير الله يعلم الغيب كُفْر.

٢٢- الوسائل لها حكم المقاصد وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها والمنع منها.

٢٣- لا يجوز القطع لـمُعَيَّن من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا مَنْ ثبت النص في حقه.

٢٤- التكفير من الأحكام الشرعية التي مَرَدها إلى الكتاب والسنة فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع لأن التكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم.

٢٥- القرآن الكريم هو كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود وهو معجز ومحفوظ إلى يوم القيامة.

٢٦- الهداية والضلال بيد الله تعالى فمن هداه الله فبفضله ومَنْ أضله فبِعَدْله.

٢٧- الإمامة تثبت بإجماع الأمة أو بيعه ذوي الحل والعقد منهم ومن تغلب واجتمعت عليه الكلمة وَجَبَت طاعته في المعروف وحَرُمَ الخروج عليه إلا أذا أَظْهَر

---

(١) فرقة من فرق الخوارج.

كُفْرًا بَوَاحًا فيه مِنْ الله بُرهان.

٢٨- الصحابة الكرام كلهم عدول وهم أفضل هذه الأمة ومحبتهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق مع الكف عما شَجَر بينهم وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهم الخلفاء الراشدون.

٢٩- الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وهو ماضٍ إلى يوم القيامة.

٣٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام وأسباب حفظ حرماته وهما واجبان بحسب الطاقة والضوابط الشرعية مع اعتبار المصلحة في ذلك.

٣١- الأصل في المسلم السلامة حتى يظهر خلاف ذلك ولا يجوز امتحان عامة المسلمين في الأمور الدقيقة والمعاني العميقة وإنما يحملون على الجمل الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

***

فصل

في معنى الإيمان وحقيقته

س١٩: عرِّف الإيمان لغة وشرعًا؟

ج: الإيمان لغة: التصديق (ليس ترادفًا)

وآمن به إيمانًا: صَدَّقَهُ... والإيمان: الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة[(١)].

وفي الشرع: تصديق الرسول ﷺ فيما أَخْبَرَ به عَنْ رَبِه، وهذا التعريف ذَكَرَه بعض أهل العلم ولكنه لا يَفِي بمعنى الإيمان الشرعي.

قال ابن تيمية: ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار يتضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد وتصديق الرسول فيما أَخْبَرَ والانقياد له فيما أَمَرَ كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة فإذا حصل

---

(١) القاموس المحيط.

إيمان القلب حصل إيمان الجوارح ضرورة، وإيمان القلب لابد فيه من تصديق القلب وانقياده وإلا فلو صدق قلبه بأن محمداً رسول الله ﷺ وهو يبغضه ويحسده ويستكبر عن متابعته لم يكن قد آمن قلبه والإيمان وإن تضمن التصديق فليس هو مرادفًا له، فلا يقال لكل مُصَدِّق بشيء إنه مؤمن به فلو قال أنا أُصَدِّق بأن الواحد نصف الاثنين وأن السماء فوقنا والأرض تحتنا، ونحو ذلك مما يشاهده الناس ويعلمونه لم يقل لهذا إنه مؤمن بذلك بل لا يستعمل إلا فيمن أَخْبَرَ بشيء من الأمور الغائبة كقول إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ فإنهم أخبروه بما غَابَ عنه وهم يفرقون بين مَنْ آمن له وآمن به، فالأول يقال للمخبر والثاني يقال للمخبر به كما قال إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾، وقال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ففَرَّق بين إيمانه بالله وإيمانه للمؤمنين لأن المراد يصدق المؤمنين إذا أخبروه، وأما إيمانه بالله فهو من باب الإقرار به ومنه قوله تعالى عن فرعون وملئه: ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أي: نُقر لهما ونصدقهما، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾[4]، ومن المعنى الآخر قوله تعالى: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[6] أي أقرَّ بذلك. اهـ[7].

---

(١) يونس: ٨٣. (٢) التوبة: ٦١.

(٣) البقرة: ٧٥. (٤) العنكبوت: ٢٦.

(٥) البقرة: ٢٨٥.

(٦) البقرة: ١٧٧.

(٧) الفتاوى جـ١٠: ص٢٦٩ وما بعدها.

س ٢٠ : البعض يقول إن الإيمان هو التصديق فهل الإيمان هو التصديق فقط ؟

ج: ذهب بعض الناس مثل الجهمية وبعض الأشاعرة وغيرهم إلى أن الإيمان هو التصديق بالله، وهو العلم والتصديق الذي يوجد بالقلب وقالوا إن الدليل على ذلك هو إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ هو التصديق لا يعرفون في اللغة إيمانًا غير ذلك، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا**﴾ أي بمصدق لنا ومنه قولهم فلان يؤمن بالشفاعة، وفلان لا يؤمن بعذاب القبر، أي لا يصدق بذلك فوجَبَ أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة لأن الله ما غيّـر اللسان العربي ولا قَلَبه، ولـو فَعَلَ لتواترت الأخبار بفِـعْله وتوفرت دواعي الأمة على نقـله ولغلب إظهاره على كتـمانه وفي عِلْمِنَا أنه لم يـفعل ذلك بل إقرار أسماء الأشـياء والتخاطب بأسره على ما كـان دليل على أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان اللغوي ومما يُبين ذلك قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ فأخبر الله أنه أنزل القرآن بلغة العرب وسمى الأسماء بمسمياتهم ولا وجه للعدول بهـذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة لاسيما مع القول بالعموم وحصول التوقـيف على أن القرآن نَزَلَ بلغتهم فَدَلَّ على ما قلناه من أن الإيمان ما وصفناه دون ما سواه من سـائر الطاعات من النوافل والمفروضات هذا لَفْظه وهذا عمدة من نَصَرَ قول الجهمية في مسألة الإيمان.

وللجمهور من أهل السنة وغيرهم عن هذا أجوبة:

أحدهما: قول من ينازعه أن الإيمان في اللغة مُرادف للتصديق، ويقول هو بمعنى الإقرار وغيره.

والثاني: قول من يقول: وإن كان في اللغة هو التصديق فالتصديق يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح. كما قال النبي ﷺ: «**والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»[١].

والثالث: أن يُقال ليس هو مُطلق التصديق بل هو تصديق خاص مقيد بقيود اتصل

(١) رواه البخاري كتاب الاستئذان (٦٢٢٣).

اللفظ بها، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له فإن الله لم يأمرنا بإيمان مُطلق بل بإيمان خاص وَصَفَه لنَا وبينه.

والرابع: أن يقال: وإن كان هو التصديق فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزِم لما وَجَبَ من أعمال القلب والجوارح فإن هذه لوازم الإيمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم، ونقول: إن هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى.

الخامس: قول من يقول إن اللفظ باق على معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكامًا.

السادس: قول من يقول إن الشارع استعمله في معناه المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي[1]. اهـ.

وبهذا يتضح الجواب بأن الإيمان ليس التصديق فحسب.

س٢١ : عَرِّف حَد الإيمان واذكر مذاهب الناس فيه؟

ج: حد الشيء هو كنهه وهو المكون لهيئته وحقيقته واختلف الناس* في حد الإيمان اختلافًا كثيرًا وتعددت فيه مذاهبهم بين أهل الفرق والبدع والضلالات ويمكن تلخيص المذاهب في حد الإيمان على النحو التالي:

المذهب الأول: مذهب غلاة المرجئة: وهم أكثر الناس تفريطًا وهؤلاء هم الجهمية أتباع جهم بن صفوان.

وذهب أهل هذا المذهب إلى أن الإيمان هو: التصديق فحسب وهو في اللغة كذلك فجعلوا حد الإيمان هو التصديق لعموم قوله تعالى: **﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾**[2] فقالوا مؤمن أي مصدق، وهذا المذهب من أشنع وأفحش المذاهب في الإيمان ولم يبلغ مذهب في الشناعة والفحش مبلغه لأن هذا المذهب يلزم منه أمور

---

(١) مجموع الفتاوى جـ٧ ص١٢١ وما بعدها.

* راجع فتح الباري كتاب الإيمان الباب الأول - والجزء السابع من فتاوى ابن تيمية. (٢) يوسف: ١٧.

بعضها أفسد من بعض، من ذلك: يقتضي أن يكون فرعون وأمثاله مؤمنين لأنهم تحقق عندهم هذا القدر من التصديق مع تمام كفرهم، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(١) وهذا الكلام من أفسد ما يكون على هذا الوجه، وعلى ذلك فإن هذا المذهب يقتضي عدم إدخال الأعمال في الإيمان بل وحتى الأقوال بل وكذلك الذي لا ينطق بلا إله إلا الله فيلزم أهل هذا المذهب أن يكون مؤمنًا وهذا الكلام من أبطل الباطل.

فهذا مذهب باطل من كل وجه وما استدلوا به من أن الإيمان لغة وشرعًا: التصديق كلام غير صحيح فإن الإيمان شرعًا إن كان في اللغة التصديق فهو جملة من الاعتقادات والأقوال والأعمال، ويدل على ذلك الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وأما كون الإيمان لغة التصديق وليس هذا من باب الترادف والمقابلة، ومعلوم أن القضايا الشرعية لا تثبت إلا بدليل شرعي، وسبق البيان في السؤال السابق.

المذهب الثاني: مذهب غلاة المرجئة وهم الكرامية وسموا بذلك لأن إمام مذهبهم هو «محمد بن كرام السجستاني» فسُموا بذلك نسبة إليه وأهل هذا المذهب يقولون إن الإيمان هو الإقرار فحسب (حتى وإن لم يصدق) بمعنى أنهم يرون أن حد الإيمان هو النطق بكلمة الإيمان فقط ولم يشترطوا مع ذلك أمرًا آخر، واستدلوا لمذهبهم بعموم قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾(٢) وقول النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»(٣) فقالوا إن النبي ﷺ لم يشترط عند مقاتلة القوم الذين ما قاتلهم إلا ليؤمنوا «الكفار الأصليين» إلا النطق بلا إله إلا الله فدل هذا على أن حد الإيمان هو التكلم فقط- النطق- الإقرار- هذا هو مذهبهم وهو مذهب من أشنع المذاهب في الإيمان وهو مذهب بلغ في الإفساد مبلغًا لا يقل عما سبق لأنه يقتضي أمورًا بعضها أفسد من بعض (ومن ذلك) أن هذا المذهب يقتضي تسويغ النفاق وجعله جائزًا، لأن المنافق يأتي بهذا الكلام وهو غير

---

(١) النمل: ١٤. (٢) النساء: ٩٤.

(٣) البخاري وغيره.

مصدق وغير مؤمن، ومع هذا فقد دل الكتاب وأجمع المسلمون على إكفار المنافقين وذلك بالإضافة إلى أن هذا المذهب يقتضي عدم إدخال الأعمال والتصديق في الإيمان، وهذا من الناحية الشرعية خلل وفساد عريض- أعاذنا الله منه- لأنه خلاف مدلول الشرع للإيمان وكذلك مَدْلول اللغة، وأما استدلالهم بعموم قول النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا...**» الحديث، فإن هذا نوع من الخلط بين ما يُعْرَفُ بمناط الحكم ومناط الانتفاع مما يترتب عليه خلط فيما يتعلق بحد الإيمان.

المذهب الثالث: وهو مذهب عامة المرجئة والماتريدية وهم أتباع محمد الماتريدي نسبة إلى بلدة تسمى «ماتريد»، وهو أيضًا قول أبي حنيفة رحمه الله.

وأهل هذا المذهب يقولون: إن الإيمان (تصديق -إقرار- قول) وهم يرون أن الإيمان أصله التصديق الذي في القلب وما يلزم له ومعه من الإقرار الذي يعبر عن ذلك التصديق واستدلوا لذلك بمجموع ما استدل به الجهمية من جهة وما استدل به الكرامية من جهة أخرى فلا يصير عندهم العبد مؤمنًا إلا إذا صَدَّق وأَقَر.

وهذا المذهب وإن لم يبلغ مبلغ المذهبين السابقين في الشناعة والفحش إلا أنه مذهب فيه من الفساد والبطلان ما فيه وذلك من جهة أنه لم يجعل للأعمال وجودًا في الإيمان سواء بجعلها جزءاً من الإيمان أو أنها من جملة مسمى الإيمان فأهل هذا المذهب لا يرون أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان خاصة المرجئة الذين اقتضى مذهبهم ألا يضر مع الإيمان معصية، وإن خالفتهم الماتريدية من جهة أنهم وإن لم يدخلوا الأعمال في الإيمان إلا أنهم قد جعلوا لها أثرًا بحيث قالوا: إن فاعل الطاعة محمود وفاعل المعصية مذموم «وهو مضمون قول أبي حنيفة في الإيمان والعمل».

المذهب الرابع: «وهو مذهب أهل السنة والجماعة» وهو مذهب أهل الحق وهو ما كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، ويتلخص قول أهل هذا المذهب في حد الإيمان أنه (اعتقاد «تصديق» وإقرار «قول»، وعمل) إلا أنهم يجعلون العمل شرط في كمال الإيمان إلا ما دل الدليل على أنه شرط في صحة الإيمان.

المذهب الخامس: مذهب المعتزلة والخوارج والشيعة ومن وافقهم: ذهب أهل هذا

المذهب إلى أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل لكنهم جعلوا الأعمال شرطًا في صحة الإيمان فأصبح الإيمان عندهم كلٌّ لا يتجزأ ونتج عنه قولهم إن مُرتكب الكبيرة كافر، وهذا مذهب باطل لأنه خلاف ما يدل عليه الكتاب والسنة، واستدل هؤلاء بمثل قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١)، وبِمِثْلِ قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(٢) الحديث.

***

فصل

في بيان أن مذهب أهل السنة هو المذهب الحق في الإيمان

س٢٢ : ما الذي يبين ويؤكد أن مذهب أهل السنة في الإيمان هو المذهب الحق؟

ج : يكفي أن يُقال أنه مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة الكرام والأتباع لهم بإحسان لأن المذاهب الأُخَرَ ظهرت بعده وأنكرها الصحابة رضوان الله عليهم وتبرءوا منها بحسب علمهم بها وهذا يكفي في بيان أن ما سوى مذهب أهل السنة باطل ويزيد المسألة بيانًا ما قاله ابن تيمية في الفتاوى جـ٧ ص٣٨٨: اعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال أشهد أن الله عز وجل واحد وأن ما جاءت به الرسل حق وأقر بجميع الشرائع ثم قال ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به. أنه ليس بمسلم ولو قال: المسيح هو الله. وجحد أمر الإسلام ثم قال لم يعقد قلبي على شيء من ذلك. أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمنا، ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمنًا حتى يكون مصدقًا بقلبه مقرًا بلسانه فإذا كان تصديقًا بالقلب وإقرارًا باللسان كان عندهم مؤمنًا (المرجئة) وعند بعضهم (أهل السنة) لا يكون مؤمنًا حتى يكون مع

---

(١) البقرة: ٨١.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

التصديق عمل فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمنًا. اهـ.

وقال أيضًا[1]: فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ولابد فيه من شيئين: قول القلب وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله، وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان، ثم القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادة سَرَى ذلك إلى البدن بالضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**ألا وإن في الجسد مُضْغَةً إذا صَلَحَت صلَحَ لها سائر الجسد، وإذا فَسَدَت فَسَدَ لها سائر الجسد، ألا وهي القلب**»[1]، وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، وقول أبو هريرة تقريب، وقول النبي ﷺ أحسن بيانًا فإن الملك وإن كان صالحًا فالجند لهم اختيار... بخلاف القلب فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط... فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملاً قلبيًّا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل، قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسد فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن المُصَلِي العابث: لو خَشَعَ قلب هذا لخشعتْ جوارحه فلابد في إيمان القلب من حب الله ورسوله، وأن يكون الله ورسولُه أَحَبَ إليه مما سواهما. اهـ.

س٢٣: إذا كان مذهب أهل السنة هو مذهب أهل الحق فما الفروق التي بينه وبين المذاهب الأخرى في حد الإيمان؟

ج: الفروق التي بين المذاهب الأخرى في حد الإيمان وبين مذهب أهل السنة هي:

١- أن الإيمان عند الجهمية والكرامية وعموم المرجئة والخوارج كلٌّ لا يتجزأ بمعنى

---

(١) الفتاوى جـ٧: ص١٨٦ وما بعدها.

(٢) رواه البخاري (٥٢)، و(٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

أنه إما يُوجد كله أو يُنفى كُله.

٢- بناء على المسألة الأولى فإن الجهمية والكرامية والمرجئة والخوارج ليس عندهم كمال للإيمان، وهذا يعني أن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص.

٣- أن الأعمال لا تدخل أصلاً في مسمى الإيمان وحده عند الجهمية والكرامية والمرجئة، وهذا خلاف ما دل عليه دليل الكتاب والسنة.

٤- إن أهل السنة والجماعة قالوا إن الإيمان تصديق وقول وعمل، وقد خالفوا فيما ذهبت إليه سائر المذاهب الأخرى فلا يقال إن قولهم: الإيمان تصديق وقول وعمل يشبه من جهة المرجئة، ويشبه من جهة أخرى الخوارج، وذلك لأن التصديق الذي عنوه في قضية الإيمان عندهم ليس هو التصديق الذي عند الجهمية والمرجئة وسيأتي الكلام عن هذه القضية فيما بعد . . وكذلك ليس إدخالهم للأعمال في الإيمان قد وافقوا به الخوارج لأنهم قد جعلوا الأعمال من جملة مكملات الإيمان على الاعتبار الذي جعله الشرع دون غلو أو إخراج للمسألة عن حدودها الشرعية، فقد جعلوا الأعمال شرطًا في كمال الإيمان (إلا ما دل الدليل على أنها شرط صحة)، وجعلها الآخرون كالخوارج شرطًا في صحة الإيمان بإطلاق، مما يقتضي أن تارك العمل كافر.

س٢٤ : ما مقتضى حد الإيمان عند أهل السنة والجماعة؟

ج: عرفت مما سبق أن الإيمان عند أهل السنة: تصديق وقول وعمل وعرفت أن التصديق عندهم ليس مجرد المعرفة بل هو تصديق ينجزم في القلب انجزامًا يترتب عليه أعمال للقلوب بما يترتب عليه أعمال للجوارح وقد جرى عند أهل السنة توصيف حد الإيمان بعبارات مختلفة تدل كلها على مضمون واحد فمن ذلك قولهم: أن الإيمان: قول وعمل، مثل توصيف البخاري في صحيحه ومراد من وصفه بذلك أن العمل هنا هو عمل القلب والجوارح- وقد يَصِفُونه وذلك باعتبار أن القول في لسان العرب يطلق فيما يُطلق على العمل أيضًا ومنهم من يصفه بأنه اعتقاد وعمل،

ويقصد بالعمل قول اللسان وعمل الجوارح بالنظر إلى أن اللسان عمله الكلام.

كل هذه عبارات تدل على قضية واحدة وهي أن الإيمان يدخل فيه العمل، ويزيد وينقص، وقد وصفه المتأخرون من أهل العلم أنه اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

* * *

فصل

في بيان أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

س٢٥ : إذا كان الإيمان عند أهل السنة يدخل فيه العمل «قول وعمل» فما الذي يدل على ذلك من الكتاب والسنة؟

ج: الإيمان عند أهل السنة اعتقاد وقول وعمل. فهم يدخلون الأعمال في الإيمان بناءً على ما دَلّ عليه دليل الكتاب والسنة فمِن أدلة الكتاب:

١- قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾(١).

يبين الله تعالى في هذه الآيات أمور الإيمان التي يصير العبد بها مؤمنًا حقًّا وهي أمور قلبية مثل وجل القلوب والتوكل، وأمور عملية مثل إقامة الصلاة والإنفاق. وهذا دليل على أن الأعمال من الإيمان وذلك بتسمية الصلاة والإنفاق إيمانًا وهي مقامات عملية مما يدل على أن العمل يدخل في مسمى الإيمان وذلك بمنطوق الآية وليس بالمفهوم.

٢- قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾(٢).

قال النووي في شرح مسلم: (أجمعوا على أن المراد صلاتكم) اهـ.

---

(١) الأنفال: ٢ - ٤.

(٢) البقرة: ١٤٣.

وفي الآية دليل على أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان ويُطلق عليها اسم الإيمان وبَوب البخاري: باب الصلاة من الإيمان، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم عند البيت فسَاقَ حديثه الطويل عن البراء جاء فيه أنه مات على القبلة قبل أن تُحوَّل رجال وقُتِلوا فلم ندر ما نقوله فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

٣- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٢].

بَوّبَ البخاري على هذه الآية باب: أمور الإيمان، وقول الله تعالى: الآية.. وقال ابن حجر في الشرح: «والجامع بين الآية والحديث أن الأعمال مع انضمامها إلى التصديق داخلة في مسمى البر كما هي داخلة في مسمى الإيمان».

وهناك كثير من الآيات التي تبلغ نحواً من ثلاثين آية تدل على هذه القضية الإيمانية، من هذه الآيات على الإجمال:

١- البقرة: (٢١٧)، آل عمران: (٢٢، ٣٠، ١٣٦)، النساء: (١٢٣)، المائدة: (٥)، الأنعام: (٨٨، ١٣٥)، الأعراف: (٤٣، ٥٣)، التوبة: (١٠٥)، النحل: (٣٢)، الكهف: (٤٩)، الروم: (٤٤)، الزمر: (٣٩، ٦٥)، المجادلة: (٦)، الملك: (٢).

ثانيًا من السُّنة:

١- بوب البخاري: باب مَنْ قالَ: إن الإيمان هو العمل لقول الله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ وقال عِدة من أهل العلم في قوله تعالى:

---

(١) البقرة: ١٧٧.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١] عن قول لا إله إلا الله وقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[٢]، وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سُئِلَ أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قيل ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[٣].

٢- باب الجهاد من الإيمان[٤]: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سَرِية ولودِدت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل**»[٤].

٣- باب: صوم رمضان احتسابًا من الإيمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»[٥].

٤- باب اتباع الجنائز من الإيمان: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا، وكان معه حتى يصلي عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أُحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط**»[٦] تابعه عثمان المؤذن قال: حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

س٢٦: اذكر ما يدل على أن الإيمان يزيد وينقص من الكتاب والسنة؟

ج: ذهب أهل السنة إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وأنكر ذلك أكثر المتقدمين وقالوا متى قَبِلَ ذلك كان شَكًّا وذلك طبعًا باعتبار أن الإيمان هو التصديق فحسب وقد نقل عن كثير من السلف منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي ومعمر، وجريج والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه، وغيرهم أن الإيمان يزيد وينقص، وقالوا إن

---

(١) الحجر: ٩٢، ٩٣.
(٢) الصافات: ٦١.
(٣) البخاري: باب (٢٦).
(٤) البخاري: باب (٣٦).
(٥) البخاري: باب (٣٨).
(٦) البخاري: باب (٤٧).

آيات القرآن تدل على زيادة الإيمان لأنها مصرحة بالزيادة، وبثبوتها يثبت المقابل لأن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة- هذا معنى قولهم، وقد دل دليل الكتاب والسنة على هذه القضية الإيمانية، ومن هذه الأدلة:

أولاً: من الكتاب: جاء في القرآن الكثير والكثير من الآيات الدالة على هذه القضية ومن هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ

---

(١) آل عمران: ١٧٣.
(٢) الأنفال: ٢.
(٣) التوبة: ١٢٤.
(٤) الإسراء: ١٠٩.
(٥) الكهف: ١٣.
(٦) مريم: ٧٦.
(٧) الأحزاب: ٢٢.

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١].

ثانيًا من السنة:

هناك من الأحاديث التي تدل بالنص أو بالمفهوم على هذه القضية الإيمانية ومن هذه الأحاديث:

١- بَوَّب البخاري: باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى: ﴿**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾ وقال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ فإذا ترك شيئًا من الكمال فهو ناقص.

٢- وأخرج فيه بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من الخير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**».. وفي رواية: «**من إيمان**» بدلاً من خير.

٣- وأخرج البخاري في باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال: عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجوا منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تَر أنها تخرج صفراء ملتوية**».

٤- وأخرج أبو داود من حديث أبي أمامة وأبي ذر: «**أفضل الأعمال: الحب في الله والبغض في الله**»[٢].

واستُدل بهذا الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص لأن الحب والبغض يتفاوتان وقد وُصِف الإيمان بهما.

---

(١) الفتح: ٤.

(٢) أخرجه أبو داود فى مسنده .

س٢٧ : اذكر من أقوال السلف ما يدل على تصريحهم بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؟

ج: أقوال السلف في ذلك كثيرة وهي مصرحة بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وأن هذا هو معتقدهم مِنْ زمن الصحابة ومن ذلك:

١- أخرج البخاري عن عمر بن عبد العزيز معلقًا قال: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي (هو ابن عميرة وكان عامل عمر على الجزيرة): «إن للإيمان شرائع وحدودًا وسننًا فمن استكملها استكمل الإيمان فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت ما أنا على صحبتكم لحريص.

قال في الشرح: وفرائض أي: أعمال مفروضة- وشرائع أي: عقائد دينية- وحدودًا: المنهيات الممنوعة، وسننًا: المندوبات، فإن أعش فسأبينها لكم أي أبين تفاريعها لا أصولها؛ لأن أصولها كانت معلومة لهم مجملة، والغرض من هذا الأثر أن عمر بن عبد العزيز كان ممن يقول إن الإيمان يزيد وينقص حيث قال: استكمل، ولم يستكمل فالمراد أنها من المكملات، وهذا بيّن لأن الشارع أطلق على مكملات الإيمان إيمانًا.

٢- وأخرج البخاري تعليقًا: قال معاذ بن جبل رضي الله عنه لأسود بن هلال: «اجلس بنا نؤمن ساعة».

قال في الشرح: في رواية كان معاذ بن جبل يقول لرجل من إخوانه اجلس بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه، ووجه الدلالة منه ظاهِرة لأنه لا يحمل على أصل الإيمان بكونه كان مؤمنًا وأي مؤمن؟ وإنما يُحمل على إرادة أنه يزداد إيمانًا بذكر الله تعالى.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «لا تعلق فيه بالزيادة لأن معاذًا إنما أراد تجديد الإيمان لأن العبد يؤمن في أول مرة فرضًا ثم يكون أبدًا مجددًا كلما نظر أو فكر»، وما نفاه ابن العربي أولاً أثبته آخِرًا لأن تجديد الإيمان إيمان.

٣- أخرج البخاري عن ابن مسعود معلقًا قال: «**اليقين الإيمان كله**».

قال في الشرح: وزاد: «**والصبر نصف الإيمان**»، وفي الإيمان لأحمد من طريق عبد الله بن حكيم عن ابن مسعود أنه كان يقول: «**اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا**» وإسناده صحيح.

٤- قال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء من الأمصار فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

٥- قال النووي في شرح مسلم في كتاب الإيمان: فإذا تقرر ما ذكرناه مِن مذاهب السلف وأئمة الخلف فهي متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين.

٦- وقال الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن بطال المالكي المغربي في صحيح البخاري: قال: ومذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

* * *

فصل

في الفرق بين الإسلام والإيمان

س٢٨ : هل هناك فرق بين مسمى الإسلام ومسمى الإيمان وما حدود ذلك الفرق؟

ج: اختلف أهل السنة والحديث في مسمى الإسلام والإيمان هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق فقال بعضهم: أنهما شيء واحد كمحمد بن نصر المروزي، وابن عبد البر وغيرهما، وقال الآخرون، وهم الأكثر، بالتفريق بينهما وهو منقول عن كثيرمن السلف منهم قتادة، والزهري، وأبو جعفر محمد بن علي وإبراهيم النخعي، وحماد بن زيد، وغيرهم كثير ويتلخص مذهب المُفَرِّقين- وهو الحق[1]- بأنهم قالوا: الإيمان

(١) راجع صحيح مسلم كتاب الإيمان، والفتاوى لابن تيمية جـ٧.

خاص ويثْبت بالعمل بالتوحيد ومقتضياته، والإسلام عام ويثبت بالتوحيد والخروج من مِلَل الكفر وهذا يعني أنهم جعلوا الإيمان اسمًا لِما في الباطن مع ما يحققه من مقتضيات العمل، والإسلام: اسمًا لظاهر الإسلام دون النظر إلى حقيقة الإيمان ولذلك كانوا يقولون: «كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا».

س٢٩ : إذا كان هناك فارق بين الإيمان والإسلام فما الذي يدل على هذا الفارق من الكتاب والسنة؟

ج : استدل أهل السنة المفرقون بين مسمى الإسلام والإيمان بمثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ولَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾[1]، فنفى عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام.

واستدلوا أيضًا بحديث سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ﷺ أعطى رجالاً ولم يعط رجلاً منهم شيئًا، فقلت: يا رسول الله: أعطيت فلانًا وفلانًا ولم تعط فُلانًا وهو مؤمن؟ فقال النبي ﷺ: «**أو مسلم؟**» حتى أعادها سعد ثلاثًا، والنبي ﷺ يقول: «**أو مسلم**»، ثم قال: «**إني أعطي رجالاً وأمنع آخرين، هم أحب إليّ منهم مخافة أن يكبوا على وجوههم في النار**»[2].

وبوب البخاري على هذا الحديث: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، قال ابن حجر: ومُحَصل ما ذكره- البخاري- واستدل به أن الإسلام يطلق ويراد به الحقيقة الشرعية وهو الذي يرادف الإيمان وينفع عند الله وعليه قوله تعالى: ﴿ إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ ويُطْلَق ويُرَاد به الحقيقة اللغوية وهو مجرد الانقياد والاستسلام، فالحقيقة في كلام المصنف هنا هي الشرعية، ومُنَاسَبة الحديث للترجمة ظاهرة من حيث إن المسلم يُطْلَق على مَنْ أظْهَرَ الإسلام وإن لم يُعلم باطنه فلا يكون مؤمنًا لأنه مِمَنّ لا تَصْدق عليه الحقيقة الشرعية، أما اللغوية فحاصلة .

---

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٨)، كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٠).

وقال أيضًا: لاتقل مؤمن بل مسلم: المعنى: أن إطلاق المسلم على مَنْ لم يختبر حاله الخبرة الباطنة أولى من إطلاق المؤمن لأن الإسلام معلوم بحكم الظاهر، قال الزهري: فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل.

قال ابن حجر: ويمكن أن يكون مراد الزهري أن المرء يحكم بإسلامه ويُسمى مسلمًا إذا تلفظ بالكلمة- أي كلمة الشهادة- وأنه لا يُسمى مؤمنًا إلا بالعمل، والعمل: يشمل عمل القلب والجوارح... وقال: وأما الإسلام المذكور في حديث جبريل فهو الشرعي الكامل المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ اهـ.

قلت: ويفهم من ذلك قضية هامة وهي: أن الفرق بين مسمى الإيمان والإسلام لا يكون إلا عند اجتماعهما كما في آية الحجرات أو حديث عمرو بن العاص أما إذا جاء كل منهما منفردًا فليس هناك فرق ويكون الإيمان بمعنى الإسلام والإسلام بمعنى الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

س٣٠: لقد فَرَّق الرسول ﷺ في حديث جبريل بين الإيمان والإسلام وجَعَل الأعمال كلها من الإسلام لا منْ الإيمان والمشهور عند أهل السنة أن الأعمال كلها داخلة في مُسَمَّى الإيمان، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم فكيف يمكن الجمع بين هذا وذاك؟

ج: وجْه الجمع بين ما تقرر عند السلف وتفريق النبي ﷺ بين الإسلام والإيمان وإدخاله الأعمال في مُسَمَّى الإسلام دون مسمى الإيمان لا يتضح إلا بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرن ذلك

(١) آل عمران: ١٩. (٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) النمل: ٤٤.

الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المُسَميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أُفْرِدَ أحدُهما دَخَل فيه كل من هو محتاج فإذا قُرِن أحدهما بالآخر دَلّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أُفْرِد أحدهما دخل فيه الآخر، ودلَّ بإنفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ودل الآخر على الباقي*.

وقد صَرَّح بهذا المعنى جماعة من الأئمة: قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل والإسلام فعل ما فُرِضَ على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضمومًا إلى الآخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعًا مفردين، أُريد بأحدهما معنى لم يُرَد بالآخر، وإذا ذُكِر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم وقد ذكر هذا المعنى أيضًا الخطابي في كتابه «معالم السنن» وتبعه عليه جماعة من العلماء بعده، ويدل على صحة ذلك أن النبي ﷺ فسر الإيمان عند ذكره مفردًا في حديث وفد عبد القيس[(١)] بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان كما في مسند أحمد[(٢)] عن عمرو بن عَبَسة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: **«أن تُسلم قلبك لله وأن يَسْلَم المسلمون من لسانك ويدك»**، قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: **«الإيمان»**، قال: وما الإيمان؟ قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت»**. قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: **«الهجرة»**، قال: فما الهجرة؟ قال: **«أن تهجر السوء»**، قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: **«الجهاد»**... فجعل النبي ﷺ الإيمان أفضل الإسلام وأدخل فيه

* راجع جامع العلوم والحكم ص١٠٥، ١٠٦- مؤسسة الرسالة.

(١) وهو مخرج في الصحيحين عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لوفد عبد القيس: « آمركم بأربع: الإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخُمس ».

(٢) ٤/ ١١٤ وقال الهيثمي في المجمع ١/ ٥٩ رجاله ثقات.

الأعمال... وبهذا التفضيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف فيقال: إذا أفرد كل من الإيمان والإسلام بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ وإذا قرن بين الاثنين كان بينهما فرق... والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، وذلك يكون بالعمل[(١)].

س٣١: ما معنى قولهم: كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا؟

ج: قال ابن رجب[(٢)]: قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم: فإن مَنْ حَقَّق الإيمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام، كما قال ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**[(٣)]، فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام. وليس كل مسلم مؤمنًا فإنه قد يكون الإيمان ضعيفًا فلا يتحقق القلب به تحققًا تامًّا مع عمل جوارحه بأعمال الإسلام فيكون مسلمًا وليس بمؤمن الإيمان التام كما قال تعالى: **﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾**[(٤)] ولم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين، وهو قول ابن عباس وغيره، بل كان إيمانهم ضعيفًا ويدل عليه قوله تعالى: **﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾**[(٥)].

يعني: لا ينقصكم من أجورها، فدل على أن معهم من الإيمان ما تُقْبل به أعمالهم. وكذلك قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص لما قال له: لَمْ تُعْط فلانًا وهو مؤمن؟ فقال النبي ﷺ يشير إلى أنه لم يحقق مقام الإيمان وإنما هو في مقام الإسلام الظاهر، ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان الباطن لزم منه ضعف أعمال

---

(١) راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب عند الكلام على حديث جبريل (الحديث الثاني) طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) جامع العلوم والحكم (الحديث الثاني).

(٣) قطعة من حديث النعمان بن بشير «الحلال بيّن والحرام بيّن».

(٤) الحجرات: ١٤. (٥) الحجرات: ١٤.

الجوارح الظاهرة أيضًا لكن اسم الإيمان ينفى عمن ترك شيئًا من واجباته كما في قوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[١]، وقد اختلف أهل السنة: هل يُسمى مؤمنًا ناقص الإيمان أو يقال: ليس بمؤمن لكنه مسلم؟ على قولين، وهما روايتان عن أحمد، وأما اسم الإسلام: فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته، أو انتهاك بعض محرماته، وإنما يُنفى بالاتيان بما يُنافيه بالكلية، ولا يُعرف في شيء من السنة الصحيحة نفي الإسلام عمن ترك شيئًا من واجباته كما ينفى الإيمان عمن ترك شيئًا من واجباته، وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات وإطلاق النفاق أيضًا.

س٣٢: عرفنا أن العبد قد يُسلب منه اسم الإيمان ويبقى له اسم الإسلام فما هي المضرة التي تلحق العبد بنفي الإيمان إذا كان اسم الإسلام باقيًا له؟

ج: إن الناظر في القرآن يجد أن الله قد جعل اسم الإيمان اسم ثناء وتزكية ومُدْحة، أوجب عليه الجنة فقال: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾[٦].

ثم أوجب الله النار على الكبائر فدل بذلك على أن اسم الإيمان زائل عمن أتى كبيرة، كذلك لا يجد الناظر أن الله أوجب الجنة باسم الإسلام فثبت أن اسم الإسلام ثابت له على حاله واسم الإيمان زائل عنه فإن قيل: أليس الإيمان ضد الكفر؟ وزوال الإيمان يعني الكفر؟ يُجاب بأن الكفر ضد لأصل الإيمان لأن للإيمان أصلاً وفرعًا فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر[٧].

---

(١) أخرجه مسلم. (٢) الأحزاب: ٤٣، ٤٤. (٣) يونس: ٢.

(٤) التحريم: ٨. (٥) البقرة: ٢٥٧. (٦) التوبة: ٧٢.

(٧) «تعظيم قدر الصلاة» ص٣٣٤ طبعة مكتبة العلم.

س٣٣ : هل من يُنْفَى عنه الإيمان ويبْقَى له اسم الإسلام هل يبقى عنده من الإيمان شيء؟

ج: نعم أصل الإيمان ثابت له ولولا ذلك لكَفَر، ولكنه لا يستحق اسم المؤمن لأنه مُقَصر فإن قيل: فلماذا لم يثبت له اسم الإيمان وأصل الإيمان ثابت له؟ كان الجواب أن الله ورسوله وجماعة المسلمين سموا الأشياء بما غلب عليها من الأسماء، فسموا الزاني فاسقًا، والقاذف فاسقًا، وشارب الخمر فاسقًا، ولم يُسموا واحدًا من هؤلاء متقيًا ولا وَرِعًا، وقد أجمع المسلمون أن فيه أصل التقى والورع وذلك أنه يتقي أن يكفر أو يشرك بالله شيئًا، وكذلك يتقي الله أن يترك الغسل من الجنابة أو الصلاة، ويتقي أن يزني فهو في جميع ذلك متق وقد أجمع المسلمون من المخالفين والموافقين أنهم لا يسمونه متقيًا ولا ورعًا، إذا كان يأتي الفجور، فلما أجمعوا أن أصل التقى والورع ثابت فيه، وأنه قد يزيد فيه فروعًا بعد الأصل تورعه عن إتيان المحارم، ثم لا يسمونه متقيًا ولا ورعًا مع إتيان بعض الكبائر، وسموه فاسقًا وفاجرًا مع علمهم أنه قد أتى بعض التقى والورع، فمنعهم من ذلك أن اسم التقى اسم ثناء وتزكية، وأن الله قد أوجَبَ عليه المغفرة والجنة.

قالوا: فكذلك لا نسميه مؤمنًا ونسميه فاسقًا زانيًا، وإن كان أصل في قلبه اسم الإيمان لأن الإيمان اسم أثنى الله به على المؤمنين، وزكاهم به، فأوجَبَ عليه الجنة فمن ثم قلنا «مسلم» ولم نقل «مؤمن»[1].

وأما إذا نفى الإيمان عن أحد وأثبت له الإسلام كالأعراب الذين أخبر الله عنهم فإنه ينتفى رسوخ الإيمان في القلب وتثبت لهم المشاركة في أعمال الإسلام الظاهرة مع نوع إيمان يُصحح لهم العمل إذ لولا هذا القدر من الإيمان لم يكونوا مسلمين وإنما نفى عنهم الإيمان لانتفاء ذوق حقائقه ونقص بعض واجباته، وهذا مبني على أن التصديق القائم بالقلوب متفاضل.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، ص٣٣٥.

س ٣٤ : إذا كان العبد يرفع عنه اسم الإيمان المطلق بارتكاب الكبيرة أو بترك بعض واجبات الإيمان فبم يُسمى في هذه الحالة؟

ج : اختلف السلف من أهل السنة ماذا يطلق على مثل هذا فمعلوم أنه يسمى مسلمًا بالاتفاق أما من جهة الإيمان فمنهم من أطلق عليه مؤمنًا بالنظر إلى أصل الإيمان، ومنهم من قال ليس مؤمنًا بالنظر إلى كمال الإيمان، ومنهم من أطلق عليه فاسقًا باعتبار الخروج عن واجبات الإيمان، ومنهم من أطلق عليه الكفر بالنظر إلى أنه فَعل فِعل الكافر وإن كانوا لا يرون أنه يخرج من الملة، يبين ذلك ما ذكره ابن حجر في الفتح قال: بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر إلا إذا اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم، فإن كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق فمَن أطلقَ عليه الإيمان فبالنظر إلى إقراره ومن أطلق عليه الكفر فبالنظر إلى أنه فعل فعل الكافر، ومن نفاه عنه فبالنظر إلى حقيقته[1].

قال ابن رجب[2]: واختلف العلماء: هل يسمى مرتكب الكبيرة كافرًا كفرًا أصغر أو منافقًا النفاق الأصغر، ولا أعلم أن أحدًا منهم أجاز إطلاق نفي اسم الإسلام عنهم.

س ٣٥ : متى ينتفي اسم الإسلام عن صاحبه؟

ج : عرفنا فيما سبق أن الإيمان ينفى عمن ترك شيئًا من واجباته ويبقى الأصل ويسمى صاحبه مسلمًا، واسم الإسلام لا ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته وإنما يُنْفَى بالإتيان بما يُنَافِيه بالكلية ولا يُعرف في شيء من السنة الصحيحة نفي الإسلام عمن ترك شيئًا من واجباته، وهذا يعني أن اسم الإسلام لا يَنْتَفى عن صاحبه إلا بوجود ما يُنافيه ويُخْرِج عن الملة بالكلية وهو ما يعرف بالردة وبذلك يُعرف

(١) البخاري مع فتح الباري كتاب الإيمان: « باب بني الإسلام على خمس ».

(٢) جامع العلوم والحكم ص١١١.

أن نفي الإسلام في الشرع يكون على وجه واحد أما نفي الإيمان فيكون على وجهين.

س٣٦: إذا كان نفي الإيمان على وجهين فما هما؟ وما الذي يدل على ذلك؟

ج: عرفنا فيما سبق أن اسم الإيمان ينفي على ضربين: الأول نفي لكمال الإيمان- وهذا الذي يسمى مؤمنًا ناقص الإيمان أو فاسقًا إلخ والثاني: نفي لأصل الإيمان وهو الكفر المُخْرِج من الملة ويدل على هذا أدلة من الكتاب والسنة:

١- من الكتاب:

يدل على نفي الإيمان على الوجه الأول مثل قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[(١)].

٢- ومن السنة:

مثل قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» الحديث.

ومثل قول النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير**»[(٢)]، وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه**»[(٣)].

وفي الحديث: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[(٤)].

ومما يدل على نفي الإيمان على الوجه الثاني من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾[(٥)].

وكذلك آية البقرة: ١٠٠، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[(٦)]، وكذلك آية النساء: ٤٦، وقوله تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ**

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند والنسائي عن أنس وفي صحيح الجامع (٧٠٨٥).

(٣) أخرجه مسلم عن أنس.

(٤) أخرجه البخاري عن أبي شريح.

(٥) البقرة: ٦.

(٦) النساء: ٣٨.

لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾[١] (وأيضًا النساء: ١٥٥).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٢] (ومثلها الأنعام: ٢٠، ١٥٠)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٤] (ومثلها الرعد: ١) والآيات بهذا المعنى كثيرة جدًا ومن أبينها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] ومثلها آية (المائدة: ٤٣).

ومن السنة: قوله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خير وشره**»[٦]، وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[٧].

* * *

فصل

في بيان أن الكفر كفران والشرك شركان والفسق فسقان والظلم ظلمان

س٣٧: عرفنا أن الإيمان ينفى على ضربين؛ فهل يكون الكفر الذي هو ضد الإيمان أيضًا على ضربين؟

ج: تقرر أن الإيمان له أصل وله كمال، وأن العبد قد ينفى عنه الكمال ويبقى له الأصل فيقال: ليس مؤمنًا ولا يكون بذلك خارجًا عن ملة الإسلام وقد ينفى عنه الأصل ويخرج بذلك عن ملة الإسلام ويستحق وَصْف الكفر لكن يمكن أن يُسمى من

---

(١) النساء: ٦٥. (٢) الأنعام: ١٢.

(٣) التوبة: ٤٥. (٤) هود: ١٧. (٥) النور: ٤٧.

(٦) أخرجه الترمذي عن جابر وفي صحيح الجامع برقم (٧٥٨٥).

(٧) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

انتفى عنده كمال الإيمان كافراً كفراً أصغر وإن كان الغالب في التسمية عند ذلك ليس مؤمنًا أو فاسقًا، ومن هنا نعلم أن الكفر في الشريعة على ضربين أيضًا (الكفر كفران) كفر أكبر وكفر أصغر، وهذا التقسيم ليس من اختراع العلماء ولكنه تقسيم شرعي وقد بَوب البخاري باب: «كفران العَشير وكفر دون كفر» وأورد فيه حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال للنساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقلن: ولم يا رسول الله؟ قال: «**تُكْثرن اللعن وتكفرن العشير**» قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرحه- البخاري- أراد أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيمانًا كذلك المعاصي تسمى كفراً لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يُراد الكفر المخرج من الملة اهـ.

ولذلك بَوَّب البخاري أيضًا في كتاب الإيمان باب: «المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك» وأخرج البخاري عن ابن عباس في حديث صلاة الكسوف أن النبي ﷺ قال: «**وأريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء**» قالوا: بما يا رسول الله؟ قال: «**بكفرهن**»، قيل: يكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيراً قط**»، فلما قيل يكفرن بالله فأجاب «**يكفرن العشير**»، فهنا جعل النبي ﷺ الكفر كفرين وهذا يعني أن جعل الكفر كفرين هو من الشريعة وكذلك نَفْي الإيمان على ضربين هو من تقسيم الشريعة.

س٣٨ : إذا كان الكفر كفرين فهل الشرك شركان؟

ج: نعم لقد قسم الشرع الشرك إلى شركين أيضًا، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ : «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»(١).

وفي هذا الحديث: جعل النبي ﷺ من الشرك ما هو أصغر وهذا بيّن في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند عن محمود بن لبيد وفي صحيح الجامع (١٥٥٥).

تقسيم الشرع للشرك إلى أكبر وأصغر.

س٣٩ : وهل هذا أيضًا في الظلم؟ ينقسم إلى ظلمين؟

ج: نعم: كما أن الكفر كفران والشرك شركان فالظلم أيضًا في الشريعة ينقسم إلى ظلمين، ظلم بمعنى المعاصي وهو الذي جاء في مثل قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾(١) وظلم النفس في هذه الآية يعني ارتكاب المعاصي التي لا تخرج من الملة لأن الله قال ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ وذلك بخلاف النوع الثاني من الظلم في الشريعة أيضًا وهو بمعنى الكفر الناقل عن الملة وهو ما جاء في مثل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾(٢) والظالم لنفسه في آية «الكهف» هو صاحب الجنتين الكافر وهو غير الظالم لنفسه في آية «فاطر».

وتقسيم الظلم إلى ظلمين قد بينه النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال النبي ﷺ: **«ليس بذلك ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»** وبوب البخاري على هذا الحديث في كتاب الإيمان باب: ظلم دون ظلم إشارة إلى المعنى الذي بينه النبي ﷺ من أن الظلم ظلمان، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يبين أن منه ما ليس بعظيم.

س٤٠ : قد عرفنا أن ناقص الإيمان يسمى فاسقًا فهل الفسوق ينقسم إلى فسقين أيضًا؟

ج: كذلك الفسق فسقان*، فسق ينقل عن الملة، وفسق لا ينقل عن الملة، فيُسمى الكافر فاسقًا، والفاسق من المسلمين فاسقًا، ذكر الله إبليس فقال: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ

---

(١) فاطر: ٣٢.   (٢) الكهف: ٣٥.

* راجع السؤال رقم ٨.

رَبِّهِ﴾[١] وكان ذلك الفسق منه كفرًا، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾[٢] يريد الكفار، دل على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٣] وسمى القاذف من المسلمين فاسقًا، ولم يخرجه من الإسلام قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤]، وقال الله: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[٥] فقالت العلماء في تفسير الفسوق ههنا: هي المعاصي. اهـ[٦].

* * *

فصل

في بيان: التفريق بين الكفرين.. والشركين

س ٤١ : يجيء في خطاب الشرع (في الآية أو الحديث) لفظ الكفر أو الشرك أو غير ذلك بغير قيد يبين كونه أصغر أو علامة تُظْهر أنه أكبر فكيف نعرف من هذه الألفاظ في النصوص ما هو أكبر مما هو أصغر؟

ج: لبيان ذلك لابد أن نعرف أولاً: أن خطاب الشرع جاء بلسان عربي مبين وأن ألفاظ القرآن والسنة على حقيقتها (تمام المعنى) وهو ما يسميه العلماء «الظاهر» وهو ما يمكن أن نجعله كقاعدة تتلخص في أن الأصل في اللفظ حقيقته ولا يكون على غير حقيقته إلا بقرينة ودلالة تأتي تشير إلى باطن دون ظاهر أو مجاز بحيث تصرف هذه الدلالة اللفظ عن حقيقته، وهذا الأصل هو المستقر عند عموم علماء أهل السنة، يقول الشافعي في الرسالة في باب الاختلاف: والقرآن على ظاهره حتى تأتي دلالة منه أو سنة أو إجماع أنه على باطن دون ظاهر. اهـ.

---

(١) الكهف: ٥٠. (٢) السجدة: ٢.
(٣) السجدة: ٢٠. (٤) النور: ٤.
(٥) البقرة: ١٩٧. (٦) «تعظيم قدر الصلاة»: ص٣٤٣.

ومعنى هذا أن الأصل في اللفظ الحقيقة- الظاهر- وأنه مع التقييد يفيد معنى غير حقيقي بسبب القيد- وكلا المعنيين استعملتهم الشريعة على النحو المذكور، وهو أن الأصل في اللفظ حقيقته مالم يصرفه دليل فيقيد حقيقته... وهذا المعنى يجرى على كل الألفاظ الشرعية بما فيها الإيمان والكفر، فلفظ الكفر في الشريعة على حقيقته ما لم تأت قرينة تقيد الحقيقة وتصرف لفظ الكفر من حقيقته الأكبر.

يقول الرازي في المحصول: المسألة العاشرة: في أن المجاز على خلاف الأصل والذي يدل عليه وجوه... إلى أن قال: ورابعها: إجماع الكل على أن الأصل في الكلام الحقيقة اهـ[1]، وقال أيضًا: لم يزل العلماء خلفًا عن سلف على مر الدهور وتعاقب الأزمنة يحملون اللفظ على حقيقته من غير بحث عن المجاز، ومنهم من ادعى الإجماع على أنه لا يجب طلب المجاز ولكن فيه نظر* اهـ[2].

س٤٢ : هل كون الأصل في اللفظ أنه على ظاهره يعني أن لفظ الكفر والشرك ونحو ذلك هو على تمام معناه بما يعني أنه أكبر ؟

ج : نعم كون الأصل في اللفظ حقيقته وأنه على ظاهره يعني أن لفظ الكفر أو الشرك في خطاب الشرع يعني الكفر الأكبر الذي ينقل عن الملة لكنه قد عُرف بدليل الشرع أن هناك ألفاظًا في نصوص قيدت بنصوص أخرى وعلى هذا فينبغي معرفة أن لفظ الكفر أو الشرك يُحمل على الكفر والشرك الأكبر لكن لابد من معرفة أنه قد يكون مقيدًا وإلا وقعنا فيما وقعت فيه الخوارج حيث نظروا إلى حقيقة الألفاظ في النصوص دون النظر إلى القيود التي جعلها الشرع في نصوص أُخَر، وخلاصة القول: أن الأصل في لفظ الشرك أو الكفر أنه شرك أكبر وكفر أكبر ما لم يصرفه صارف إلى الشرك الأصغر أو الكفر الأصغر.

---

(١) المحصول جـ٤ : ص٤٧١ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

* قلت: ينبغي طلب القيد لأن اللفظ قد يكون مقيدًا بنص آخر.

(٢) المحصول جـ٢ : ص١٤٢،

س٤٣ : إذا كان الأصل في لفظ الكفر أنه أكبر ما لم يصرفه صارف فهل كل لفظ من ألفاظ الشرك أو الكفر يصرفه صارف؟

ج: ليس كل لفظ من ألفاظ الكفر في خطاب الشرع أو الشرك أو غيره ينقل عن حقيقته ويصرف إلى الكفر الأصغر أو الشرك الأصغر بل منه ما يبقى على حقيقته ولكن المراد هو تقرير حقيقة علمية وقاعدة هامة تتعلق ببيان التفريق بين الكفر الأكبر والأصغر وكذا الشرك الأكبر والأصغر... إلخ، وكذلك التنبيه على أن ألفاظ الكفر في الشريعة منه ما هو على حقيقته ومنه ما هو مصروفٌ ومقيد بقيد ينقله على غير حقيقته... وبيان أن الشريعة استعملت هذه الألفاظ على الإطلاق وعلى التقييد «الأصغر والأكبر».

س٤٤ : هل هذه الصوارف يلزمنا تعلمها؟ وهل نحن باعتبارنا مبتدئين أو طلبة علم ينبغي أن نبحث عن تلك الدلالات والقيود الصارفة للفظ الشرك أو الكفر أو نحوه عن ظاهره؟

ج: معرفة الدلالات المقيدة والنصوص الصارفة بحيث يُقال إن اللفظ في النص الفلاني على حقيقته أو هو مصروف عن حقيقته هذه وظيفة العلماء، ولم يبق الأولون للمتأخرين من ذلك شيئًا بل قد كفانا العلماء مُؤْنة هذا الباب لكن المطلوب من المبتدأ وطلبة العلم معرفة حقائق مبنية على تلك القواعد وهذه الحقائق منها:

١- أن الكفر في الشريعة منه ما هو أصغر ومنه ما هو أكبر وكذلك الشرك والظلم والفسق.

٢- أن هذا التقسيم من ترتيب الشريعة وليس من صُنْع العلماء.

٣- أن كل لفظ من هذه الألفاظ يمكن أن يكون باقيا على حقيقته أو منقولاً إلى غير الحقيقة.

٤- الدلالات المقيدة لحقيقة اللفظ والصارفة للكفر من الأكبر إلى الأصغر هي من وضع الشريعة.



س٤٥ : هل يمكن إعطاؤنا بعض الأمثلة أو الدلالات المقيدة لحقيقة اللفظ فيما يتعلق بالكفر الأكبر والأصغر والشرك وغيره؟

ج: إن الأدلة المقيدة والدلالات الصارفة لحقيقة اللفظ في مسألة الكفر والإيمان كثيرة جدًّا، وكما قلنا من قبل إن أي لفظ يمكن أن يكون مصروفًا ولابد من البحث في ذلك من خلال الدلالات الأخرى وكلام أهل العلم، والدلالات الصارفة للكفر الأكبر إلى الأصغر أو الشرك أو غير ذلك.. تختلف من موضع لآخر فمنها على سبيل المثال: أن يأتي النص في الشرع مثبتًا لوصف الكفر لمن يتلبث بحال ما، ثم يأتي في موضع آخر ونص آخر مثبتًا وَصْفَ الإيمان لمن تلَبَّثَ بهذا الحال الذي وُصِف في النص الأول بأنه كفر سواء كان النص من السنة أو من القرآن لأن المتقرر في الأصول أن القرآن يُقيد السنة وكذلك العكس ومثاله ما جاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**[1].

ففي هذا النص: إثبات وصف الكفر لمن قاتل مسلمًا ثم يجيء نص آخر من قوله تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**[2] وفي هذا النص أثبت الله وصف الإيمان مع التلبث بحال التقاتل بين المسلمين وهو الحال الذي وصف في الحديث بأنه كفر فصارت الآية دليلاً مقيدا لظاهر الكفر في الحديث وصارفة للفظ الكفر في الحديث من الأكبر إلى الأصغر.. وهذا مثال.

ومثال آخر: أن تصف الشريعة قولا أو فعلا بأنه كفر أو شرك وتبين في نص آخر أن كفارة هذا الفعل أو القول ليست أن يُقام عليه حد الردة ولكن تكون أمرًا آخر يتوافق وهذا الفعل أو القول ويبين أنه ليس بكفر أو شرك ينقل عن الملة، ومثاله: قول

---

(١) متفق عليه.
(٢) الحجرات: ٩، ١٠.

النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(١) في هذا الحديث ثبوت وَصْف الشرك لمن حلف بغير الله والأصل في اللفظ حقيقته يعني الشرك الأكبر لكن في الحديث الآخر نجد أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلف منكم فقال في حَلِفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**»(٢)، فإن قوله فليقل لا إله إلا الله يبين أن كَفارة الحلف بغير الله هي أن يقول لاإله إلا الله وليست هذه كفارة المرتد الذي يقع في الشرك الأكبر فعلم بذلك أن لفظ الشرك في الحديث الأول مصروف عن حقيقته ومنقول إلى الشرك الأصغر. . ومنه قول النبي ﷺ: «**ليس منا من حلف بالأمانة**»(٣) فلا يقال ليس منا أي كافر، وأيضًا قد يُنْفَى الإيمان عمن تلبث بحال وتكون عقوبتهم المبينة في نصوص أخر ليست هي عقوبة الكافرين مثال ذلك: كما في الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المسلمون إليها أبصارهم وهو مؤمن**»(٤).

في هذا الحديث: نفي الإيمان عمن ارتكب شيئًا من هذه الأعمال وهو مُشعر بالكفر لكن من المعلوم أن عقوبة هذه الأشياء المنصوص عليها في الشرع ليست هي عقوبة الردة إنما هي عقوبات مخصوصة لمرتكب هذه الأعمال بما يُشعر بأنها ليست كفرًا بل في الحديث عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق**»(٥) وهذا بين إذ لو كان نَفْيُ الإيمان عمن زنى وسرق كُفْرًا لما قال النبي ﷺ: «**وإن زنى وإن سرق**».

(١) أخرجه أحمد والترمذي عن ابن عمر، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٢٠٤).

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وهو في صحيح الجامع برقم (٦٢١٦).

(٣) أخرجه أحمد وابن حبان عن بريدة وهو في صحيح الجامع برقم (٥٤٣٦).

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز: باب ما جاء في الجنائز.

وليس المقام مقام استقصاء للدلالات المقيدة والصارفة إنما هو ذكر بعض الأمثلة وإلا فهذه الدلالات والصوارف كثيرة جداً وهي متعددة ويدخل فيها أن يأتي في النص نفسه صرف أو قيد كما في حديث تكفرن العشير بعدما قال إنكن تكفرن وكما في الحديث: «**ليس الظلم الذي تذهبون إليه**» جواباً على الآية: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ وغير ذلك الكثير.

س٤٦ : عرفنا أن الكفر منه أكبر وأصغر وكذلك الشرك وغيره وعرفنا الدلالات المقيدة لحقيقة الكفر والشرك والصارفة من الأكبر إلى الأصغر فهل هذه الدلالات والصوارف هي أيضاً التي يُستدل بها ويعول عليها في التفريق بين نفي الإيمان بنوعيه؟

ج: تقدم في الكلام أن نفي الإيمان في الشريعة على ضربين وعرفناهما وما يقال في الكفر الأكبر والأصغر هو هو ما يقال في قضية نفي الإيمان مع تغيير العبارة بحيث يقال إن الأصل في نفي الإيمان هو نفي حقيقة الإيمان وأصله إلا أن يأتي دليل مقيد يصرف النفي إلى نفي الكمال لا الأصل وهذه الدلالات والقيود والصوارف شأنها ومعانيها شأن الدلالات والقيود والصوارف من الكفر الأكبر وهكذا وهناك مثال مشهور مشترك بين القضيتين وهو حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» ففيه نفي الإيمان عمن زنى وسرق ثم يظهر بالأدلة أن نفي الإيمان إنما هو نفي لكمال الإيمان وليس الأصل.

س٤٧ : عرفنا أن الكفر منه ما هو أكبر وأصغر فما الحدود المفرقة بين الكفر الأكبر والأصغر؟

ج: ينقسم الكفر والشرك وغيره إلى أكبر وأصغر، والكفر الأكبر له خصائص تميزه:

منها: أنه ما يدل عليه ظاهر مدلول الشريعة فإن الأصل في لفظ الكفر شرعاً هو الأكبر.

ومنها: أنه ينقل عن الملة ويصير المتلبس به مرتداً بشروط وانتفاء موانع.

ومنها: أن الوعيد المنصوص عليه للكافرين والخالدين في النار لا يكون إلا لمن أتى بهذا الكفر.

ومنهــا: أن مرتكبه يقام عـليه حد الردة بعد استتابتـه إن لم يرجع، وأما الكفر الأصغـر فإنه ليس كذلك ولكن من خـصائصه أنـه يدل عليه المدلول الشرعي حـذفًا للظاهر عن مدلوله بقرينه شرعـية وبذلك يعلم أنه ليس هو الأصل في لفظ الكفر في الشريعة لأنه منقول عن حـقيقته بقيد ناقل عن الشـرع، ومن خصائصه أن المتلبس به لايخرج من الملة وإنما ينقص إيمـانه ومن خصائصه أيضـا أن المتلبس به لا يوصف بأنه كافـر بل الأضبط أن يُوصف بأنه فـاسق؛ أو ناقص الإيمان، ولذلك: عَرَّفَ بعـضهم الشرك الأصغر بأنه: **مراعاة غير الله معه في بعض الأمور.**

س٤٨ : يسمى البعض الكفر الأصغر بكفر النعمة، أو الكفر العملي- فهل هذه التسمية صحيحة؟

ج: قال ابن حزم: أكثر الأسماء الشرعيـة موضوعة من عند الله تعالى على مسميات لم يعرفها العرب قط هذا أمر لا يجـهله أحد من أهل الأرض ممن يدري باللغة العربية ويدري الأسماء الشرعية. . وقال: التسمـية كما قدمنا لله تعالى لا لأحد دونه، وقال أيضًا في معرض الرد على من قـال إن مرتكب الكبيرة كافر كفـر نعمة: وما نعلم لمن قال هو منافق حجـة أصلاً ولا لمن قال إنه كافر كـفر نعمة أو إنه كافـر نعمة إلا أنهم نازعوا بقـول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[1] قال: وهذا لا حـجة لهم فيه لأن كـفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر وليس هو اسم ملة ولا اسم دين، ومن ادعى اسم دين وملة غير الإيمان المطلق والكفر المطلق فقد أتى بما لا دليل عليه اهـ[2].

وكذلك تسـمية الكفر الأصـغر بأنه كفـر عملى هى أيضًا تسـمية لم يسمـها الله

(١) إبراهيم: ٢٨.

(٢) الفصل جـ٣: ص١٠٩ وما بعدها طبعة مكتبة السلام العالمية.

ورسوله خاصة أن عبارة كفر العمل تحتمل الأكبر والأصغر، فمن سَجَد لصنم أو ألقى المصحف في النجاسات فقد كفر كفر عمل أكبر، ومن شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية، فقد كَفَر كُفْر عمل أصغر فهي تسمية غير شرعية من جهة ولا تدل على القضية من جهة وإنما يُقال شرك أصغر أو كفر أصغر ولا يُقال كفر نعمة أو كفر عملي(١).

س٤٩ : دائما يقال: ليس في الاصطلاح مشاحة فلماذا لا تكون تسمية الشرك الأصغر والكفر الأصغر بالكفر العملي تسمية صحيحة؟

ج: عرفنا في السؤال السابق أن هذه التسمية ليست من وضع الشرع حتى إن قلنا إنها على سبيل الاصطلاح فإن الاصطلاح يقبل بشرط ألا يكون مقتضاه يخالف مقتضى الشرع في القضية المصطلحة ونحن أمام قضية سماها الشرع بالكفر الأصغر أو الشرك الأصغر أو نحو ذلك، وتسميتها اصطلاحًا بالكفر العملي (أو كفر العمل) يعارضه أن مِنْ كُفْر العمل ما هو أكبر.

فمثلاً يقول ابن تيمية رحمه الله: وقد قال الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه وهو أحد الأئمة يُعدل بالشافعي وأحمد: قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله أو دفع شيئًا مما أنزل الله أو قتل نبيا من أنبياء الله أنه كافر بذلك وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله(٢). اهـ.

فهذا الإجماع المُحكم يدل بجلاء على أن من العمل ما هو كفر أكبر وهذا ينقض ويهدم ذلك الاصطلاح، لكن يمكن أن نقول: كفر عمل أكبر، وكفر عمل أصغر.

س٥٠ : هناك من يقسم الكفر إلى كفر عملي وكفر اعتقادي فما صحة هذا التقسيم؟

ج: كل اصطلاح أو تقسيم لا يخالف مُقتضى الشرع لا يُمنع ما دام على سبيل الاصطلاح أما إن خَالَف مُقْتضاه مقتضى الشرع لا يُقبل، وإذا نظرنا إلى تقسيم الكفر

---

(١) المرجع السابق. (٢) الصارم المسلول جـ٣: ص٩٥٥.

إلى عملي وعقدي فإن هذا التقسيم يمكن أن يُقبل من جهة ولا يُقبل من جهة أخرى فأما الجهة التي يُقبل منها فهي تقسيم الكفر إلى عملي وعقدي بحسب محله بمعنى أن ما يكون بالجوارح واللسان من قول أو عمل كفري فيسمى بحسب محله كفرًا عمليًا سواء كان أكبر أو أصغر وما كان بالنية والقصد والاعتقاد فيسمى كفرًا عقديا بحسب محله أي محله الاعتقاد سواء كان أكبر أو أصغر، وأما الجهة التي لا يقبل منها هي تقسيمه بحيث يقال إن الكفر العملي أصغر والكفر العقدي أكبر لأننا نجد في الشريعة أن من الكفر العملي ما هو أكبر كما أوضحت في السؤال السابق، وكذلك نجد في الشريعة أن من الكفر العقدي ما هو أصغر مثل يسير الرياء فهو بنص الحديث شرك أصغر وهو عقدي، ومثل عبادة الدرهم والدينار التي ورَد فيها الحديث: «**تعس عبد الدرهم تعِس عبد الدينار تعِس عبد القطيفة تعِس عبد الخميصة...**»[1] الحديث قال ابن تيمية: عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخَميصة فإن ذلك لما أحب المال حبا منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبدًا له... فيكون فيه شرك أصغر وله من الوعيد بحسب ذلك[2]. اهـ.

ولعل هذا هو فصل القول فيما يتعلق بتقسيم الكفر إلى عقدي وعملي.

س٥١: ما الفرق بين الكفر والشرك؟

ج: قال ابن حزم في الفِصل: اختلف الناس في الكفر والشرك فقالت طائفة هي اسمان واقعان على معنيين وإن كل شرك كفر، وليس كل كفر شركًا وقال هؤلاء: لا شرك إلا قول من جعل لله شريكًا، قال هؤلاء: اليهود والنصارى كفارٌ لا مشركون وسائر الملل كفار مشركون وهو قول أبي حنيفة وغيره، وقال آخرون الكفر والشرك سواء وكل كافر فهو مشرك، وكل مشرك فهو كافر، وهو قول الشافعي وغيره. واحتجت الطائفة الأولى بقول الله عز وجل: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير (٢٨٨٧).

(٢) الفتاوى جـ٧: ص٧٢.

وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾[١] قالوا ففرق الله بين الكفار والمشركين وقالوا لفظة الشرك مأخوذة من الشريك فمن لم يجعل لله تعالى شريكًا فليس مشركًا، قال: أما احتجاجهم بقول الله عز وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾[١] فلو لم يأت في هذا المعنى غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة لكن الذي أنزل هذه الآية هو القائل سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾[٢] وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٣] وقال تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[٤] وهذا كله تشريك ظاهر لا خفاء فيه فإذًا قد صح الشرك والتشريك في القرآن من اليهود والنصارى فقد صح أنهم مشركون وأن الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد، وقد قلنا إن التسمية لله عز وجل لا لنا فإن كان ذلك كذلك فقد صَح أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾[٥] كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٦] ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أن المنافقين كفار... فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين في اللفظ وبالله تعالى التوفيق[٧]. اهـ.

وهذا كله في المعنى الشرعي فإن الكفر والشرك والنفاق والفسوق والظلم على الإطلاق بمعنى واحد وهو معنى الخروج من الملة وعدم المغفرة، لكن من جهة اللغة لا شك أن هناك فارقًا لغويًا وهو ظاهر في التعريفات المتقدمة في الأسئلة السابقة.

* * *

---

(١) البينة: ١. (٢) التوبة: ٣١.

(٣) المائدة: ١١٦. (٤) المائدة: ٧٣.

(٥) البينة: ٦. (٦) النساء: ١٤٠.

(٧) الفصل: جـ٣: ص١٢٤.

فصل

في حكم مرتكب الكبيرة

س ٥٢ : ما حكم مرتكب الكبيرة؟

ج: أحكام مرتكب الكبيرة من مسائل العقيدة التي تباينت فيها آراء الناس وذهبوا فيها إلى أربعة أقوال[1]:

القول الأول: أن مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا مخلد في النار في الآخرة، وهذا قول الخوارج وهو من أصولهم المعتمدة الذي رتبوا عليه استحلال دماء المسلمين والقول بوجوب الخروج على أئمة الجور لأنهم في نظرهم كفار.

القول الثاني: أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولا كافراً ولكنه في منزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا، أما في الآخرة فلا يدخل الجنة، بل هو مخلد في النار، وهذا قول المعتزلة.

القول الثالث: أنه مؤمن كامل الإيمان وهو قول المرجئة المبني على معتقدهم بأنه لا يضر مع الإيمان معصية ولا مع الكفر طاعة.

القول الرابع: أن صاحب الكبيرة لا يُسلب اسم الإيمان على الإطلاق، ولا يعطى له على الإطلاق، وإنما هو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصية تحت مشيئة الله في الدار الآخرة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وإليك بعض أقوالهم:

١- قال الإمام أحمد- رحمه الله-: (ومَنْ لقيه مصراً غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)[2].

٢- قال الإمام ابن عبد البر: (فإن مات صاحب الكبيرة- فمصيره إلى الله إن

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة، طبعة دار طيبة الخضراء مكة.

(٢) رسالة عبدوس بن مالك في طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٣).

شاء غفر له وإن شاء عذبه، فإن عذبه فبجرمه، وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة). اهـ[١].

س٥٣: اذكر أدلة أهل السنة والجماعة على عقيدتهم في صاحب الكبيرة؟

ج: الأدلة على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في صاحب الكبيرة كثيرة في الكتاب والسنة من ذلك على سبيل الإيجاز:

أولاً: من الكتاب: ١- قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[٢]. فقد أدخل سبحانه كل ما دون الشرك في المشيئة ومن ذلك الكبائر.

٢- قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾[٣]. ووجه الدلالة في الآية أن الله خاطب القاتل وناداه بنداء الإيمان مع ارتكابه لكبيرة القتل، وأيضًا فقد سمى الله القاتل أخًا للمقتول والأخوة المقصودة هنا أخوة الدين[٤].

٣- قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾[٥] فقد سماهم الله مؤمنين وجعلهم إخوة رغم الاقتتال وبغي بعضهم على بعض.

ثانيًا: من السنة المطهرة:

قوله ﷺ: «**تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، وإن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**». قال: فبايعناه على ذلك[٦].

---

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٤/ ٤٩). (٣) النساء: ٤٨.

(٣) البقرة: ١٧٨. (٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

(٥) الحجرات: ٩. (٦) رواه البخاري: حديث (١٨)، ومسلم حديث (١٧٠٩).

٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: **«يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»**، قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: **«لا تبشرهم فيتكلوا»**[(١)].

٣- وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»**[(٢)].

قال الحافظ: معنى قوله: «على ما كان من العمل» أي: من صلاح أو فساد لأن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة ويحتمل أن يكون معنى قوله: «على ما كان من العمل» أن يدخل أهل الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات.

قال القاضي عياض: ما ورد في حديث عبادة يكون مخصوصًا لمن قال ما ذكره صلى الله عليه وسلم وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويُوجِب له المغفرة والرحمة، ودخول الجنة لأول وهلة وكذلك أن حدود الزنا والسرقة وشرب الخمر قد أقيمت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولم يقطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، وهذا الموقف الموفق لأهل السنة والجماعة يتناسب مع مبدأ الوسطية الذي تميزوا به في كل شئون الدين وهم في هذه المسألة كانوا وسطًا بين الخوارج والمعتزلة من جهة، والمرجئة من جهة أخرى، فلم يصفوا الفاسق والعاصي بالإيمان المطلق كما تقول المرجئة، ولم

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٣٠٠) في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله، ومسلم (٣٠) في الإيمان.

(٢) البخاري (٦/ ٣٤٢) باب قول الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم﴾، ومسلم رقم (٢٨) في الإيمان.

يسلبوه منه بالكلية كما تزعم الخـوارج والمعتزلة وإنما قالوا هو مؤمن ناقص الإيمان في الدنيا أما في الآخـرة فقد جعلوه تحت مشـيئة الله، إن شاء غفـر له ابتداءً، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة.

* * *

فصل

في بيان شعب الإيمان

س٥٤: جاء الحديث أن «الإيمان بضع وستون شعبة» فما يعني بشُعب الإيمان؟

ج: الشُّعبـة بالضم: القطعة والمراد الخصلة أو الجزء، ومـعنى أن الإيمان شعب أي أنه كلٌّ متـجزئ من قطع وأجزاء بينهـا الشرع وركّبَـها بعضـها فوق بعض ليـتكون منها المُكَون الشـرعي للإيمان، وللإيمان شُعب كـثيـرة حددها الرسـول ﷺ على سبـيل الإجمـال في الحديث المتفق عليـه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[1].

وهذا الحديث من دلائل النبوة ومعجزات الـرسالة، فقد تضمن الإشارة إلى أعلى شعب الإيمان وأساس الدين ومفتاح الجنة وهي كلمة التوحيد ثم أشار إلى أدنى شعب الإيمان وهي إماطة الأذى عن الطريق وذلك للدلالة على شمولـيـة هذا الدين واهتمامه بجميع أمور الدنيا والآخرة، أما تفاصيل هذه الشعب فقد استنبطها العلماء من الكتاب والسنة وذكرها بعضهم منهم الإمام أبو بكر البيهـقي الذي حددها بسبع وسبعين شعبة شَرَحَها في سبعة مجلدات شرحًا وافيًا، كما نقل الإمام ابن حجر عن القاضي عِياضٍ قوله: «تكَلف جماعة حَصْر هذه الشُّعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكَوْن ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان».

ثم قـال ابن حجـر: ولم يتـفق من عَدّ الشـعب على نمط واحـد، وأقربهـا إلى

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

الصواب طريقة ابن حبان لكن لم نَقَف على بيـانها من كلامه، وقد لخصتُ- والكلام لابن حجر- مما أورد ما أذكره وهو أن: هذه الشعب تتفرع عن:

١- أعمال القلب. ٢- وأعمال اللسان. ٣- وأعمال البدن.

فأعمال القلب هي المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة هي:

١- الإيمان بالله عـز وجل ويدخل فيـه الإيمان بذاته، وصفـاته، وتوحيـده بأنه ليس كمثله شيء.

٢- الإيمان بالملائكة.

٣- الإيمان بالكتب المنزلة.

٤- الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

٥- الإيمان بالقدر خيره وشره.

٦- الإيمان باليـوم الآخر ويدخل فـيه السـؤال في القبـر والبعث والنـشور والحـساب والميزان والصراط والجنة والنار.

٧- محبة الله عز وجل.

٨- الحب والبغض فيه سبحانه.

٩- محبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمـه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته صلوات الله وسلامه عليه.

١٠- الإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق.

١١- التوبة. ١٢- الخوف.

١٣- الرجاء. ١٤- الشكر

١٥- الوفاء. ١٦- الصبر.

١٧- الرضا بالقضاء. ١٨- التوكل.

١٩- الرحمة. ٢٠- التواضع وتوقير الكبير ورحمة الصغير.

٢١- ترك الكبر والعجب ٢٢- ترك الحسد.

٢٣- ترك الحقد ٢٤- ترك الغضب.

٢- أما أعمال اللسان فتشمل على سبع خصال هي:

١- التلفظ بالتوحيد «لا إله إلا الله». ٢- تلاوة القرآن الكريم.

٣- تعلم العلم. ٤- تعليم الناس الخير.

٥- الدعاء. ٦- الذكر ويدخل فيه الاستغفار.

٧- اجتناب اللهو.

٣- أما أعمال البدن فتشمل على ثمان وثلاثين خصلة منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة:

١- التطهر حسًّا وحكمًا ويدخل فيه اجتناب النجاسات وستر العورة.

٢- الصلاة فرضًا ونفلاً. ٣- الزكاة فرضًا ونفلاً.

٤- فك الرقاب. ٥- الجود (إطعام الطعام وإكرام الضيف).

٦- الصيام فرضًا ونفلاً. ٧- الحج فرضًا ونفلاً.

٨- العمرة. ٩- الطواف.

١٠- الاعتكاف. ١١- التماس ليلة القدر.

١٢- الفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك.

١٣- الوفاء بالنذر. ١٤- التحري في الأيمان.

١٥- أداء الكفارات.

٣- ومن الشعب المتعلقة بالدين مما يختص بالاتباع: ست خِصال:

١٦- التعفف بالنكاح. ١٧- القيام بحقوق العيال.

١٨- بر الوالدين ويدخل فيه اجتناب العقوق.

٢٠- تربية الأولاد. ٢١- صلة الرحم.

٢١- طاعة السادة «أي إذا كان الإنسان مملوكًا»، ويدخل فيه الرفق بالعبيد.

ومن الشعب المتعلقة بالبدن ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة:

٢٢- القيام بالإمْرَة مع العدل.

٢٣- طاعة أولى الأمر. ٢٤- متابعة الجماعة.

٢٥- الإصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبُغَاة.

٢٦- المعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢٧- إقامة الحدود.

٢٨- الجهاد في سبيل الله ويدخل فيه المرابطة.

٢٩- أداء الأمانة ويدخل فيه أداء الخمس.

٣٠- القرض مع الوفاء.

٣١- إكرام الجار. ٣٢- حسن المعاملة.

٣٣- جمع المال من حِله وإنفاقه في حقه، ويدخل فيه ترك التبذير والإسراف.

٣٤- رد السلام. ٣٥- تشْميت العاطِس.

٣٦- كَفُّ الأذى عن الناس. ٣٧- اجتناب اللهو.

٣٨- إماطة الأذى عن الطريق.

وبهذا يصبح عدد الشُعب المتعلقة بالقلب واللسان والبدن تسعًا وستين شُعبة ويمكن عدها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم[1].

وقال ابن حجر: فائدة: في رواية مسلم من الزيادة «**أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»، وفي هذا إشارة إلى أن مراتبها متفاوتة.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٨).

س٥٥ : ماذا يعني كون الإيمان شعبًا وأن من هذه الشعب ما هو أعلى وما هو أدنى ؟

ج : كون الإيمان ذا شعب يعني أنه حقيقة مركبة من أجزاء متعددة متراكبة بعضها أعلى من بعض وهذا يعني أن الإيمان يزيد عند من أتى بمزيد من شعبه وينقص عند من ترك من شعبه شيئًا لأن المكون من الشعب يعلو بزيادة شعبه وينقص بنقص شعبه بخلاف المكون غير المتشعب الذي لا يقبل التجزئة وهذا المعنى يوافق عقيدة أهل السنة والجماعة وهم وحدهم الذين يرون أن الإيمان يزيد وينقص وغيرهم من كل الفرق يرى أن الإيمان كل لا يتجزأ وهذا فارق جوهري بين أهل السنة وغيرهم فيما يتعلق بحد الإيمان وكون هذه الشعب منها ما هو أعلى ومنها ما هو أدنى أن بعضها يتعلق بأصل الإيمان وبعضها يتعلق بكمال الإيمان فالأعلى كالتكلم بالشهادتين لاشك أنه من أصل الإيمان وإماطة الأذى عن الطريق هي بالضرورة من مكملات الإيمان. . . وهكذا ما بينهما من شعب، فمنه ما يتعلق بالأصل ومنه ما يتعلق بالكمال.

س٥٦ : ماذا يعني كون الإيمان له أصل وله كمال ؟

ج : فيما تقدم من كلام على نفي الإيمان وأنه على ضربين وأن منه ما يكون نفيًا للأصل بحيث يخرج العبد من الدين بالكلية ومنه ما هو نفي للكمال بحيث ينفي عنه وصف الإيمان ويبقى له وصف الإسلام لنقصان دينه ويوصف عندئذ بالفسوق دون الكفر المخرج من الملة، وهذا يبين أن الإيمان له أصل وله كمال وبالنظر إلى ما تقدم في السؤالين السابقين من بيان شعب الإيمان وأن بعضها أعلى من بعض وأن منها ما يتعلق بالقلب ومنها ما يتعلق باللسان والجوارح من أقوال وأعمال بين العبد وربه أو بين العبد وغيره، وهذا كله يؤصل هذه الحقيقة الشرعية من كون الإيمان حقيقة مركبة من الاعتقادات والأقوال والأعمال التي يتركب بعضها إلى بعض مكونًا الإيمان الشرعي وهذا الإيمان الشرعي المركب من مجموع هذه الشعب والمقتضيات العقدية والعملية والقولية مبني على أصل من هذه المتقضيات ويتفرع فوق هذا الأصل

مكملات من هذه الشعب والمقتضيات أيضًا بحيث يكون من الأمور العقدية ما هو أصل لهذا المبني وكذا من الأمور القولية والعملية بمعنى أن الإيمان له قاعدة مكونة من جملة اعتقادات وأقوال وأعمال تكون هذه القاعدة أصل الإيمان الذي لا يقوم الإيمان إلا بهذا الأصل ثم يتفرع من هذه القاعدة فروع يكمل بها المبني ويعلو علوا بعد علو وهذا أيضًا من الشعب والمقتضيات العقدية والقولية والعملية.

وهذا المعنى يتجلى بوضوح في المثل الذي ضربه الله تعالى للإيمان في كتابه الكريم حيث قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[1].

قال ابن القيم رحمه الله: فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: (الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله) فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة والباطنة فكل عمل صالح مُرْضٍ لله ثمرة هذه الكلمة وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: (كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن، أصلها ثابت: قول لا إله إلا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء).

وقال الربيع بن أنس: (كلمة طيبة هذا مثل الإيمان، فالإيمان الشجرة الطيبة وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه وفرعه في السماء خشية الله) والتشبيه على هذا القول أصلح وأظهر وأحسن[2].

---

(١) إبراهيم: ٢٤- ٢٦.

(٢) إعلام الموقعين ص١٧١، ١٧٣ لمن أراد المزيد.

س٥٧ : عرفنا أن الإيمان له أصل وله كمال فاذكر بعض أمثلة تبين ما هو أصل مما هو كمال؟

ج: عرفنا مما تقدم أن الإيمان حقيقة مركبة من اعتقادات وأقوال وأعمال وهذا التركيب يكون أصل الإيمان وكماله وهذا يعني أن كلا من الاعتقادات والأقوال والأعمال منها ما هو أصل ومنها ما هو كمال فأصول الإيمان العقدية كالإيمان بالله والرسول واليوم الآخر وما يتبع ذلك من المحبة والخوف والرجاء واليقين، ومن الاعتقادات ما هو من كمال الإيمان كالبراءة من الرياء وحسن الظن بالمسلمين وخلو النفس من الحقد والحسد. . . وهكذا، وكذلك الأقوال منها ما هو من أصل الإيمان كالتكلم بالشهادتين والانتهاء عما فيه جحود أو تكذيب أو استهزاء بالحق. . . ، وكذلك منها ما هو من كمال الإيمان كقول الصدق وشهادة العدل وغير ذلك. . .

وأيضًا الأعمال منها ما يتعلق بأصل الإيمان كالانتهاء عن هدم الكعبة وإلقاء المصحف في النجاسات ومواطن الامتهان، والانتهاء عن السجود لغير الله، ومنها إقام الصلاة على الصحيح (مع الاختلاف في ذلك) وأيضًا فإن من الأعمال الكثير من مكملات الإيمان كأداء الأمانات والوفاء بالعهود وأداء الزكاة والحج والكف عن الزنا والسرقة. . . إلخ.

لكن لابد هنا من التنبيه على أن الأصل يتكون من مجموع ما هو أصل لأن الاعتقادات لا تسمى إيمانًا صحيحًا إلا إذا انضم إليها الأقوال والأعمال مما هو من أصل الإيمان وكذلك الأعمال والأقوال حتى ينضم إليها الاعتقادات.

يقول ابن تيمية رحمه الله: اعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله عز وجل واحد وأن ما جاءت به الرسل حق وأقر بجميع الشرائع ثم قال ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم ولو قال: المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام ثم قال لم يعقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار

ذلك وليس بمؤمن فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمنًا ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمنًا حتى يكون مصدقًا بقلبه مقرًا بلسانه فإذا كان تصديقًا بالقلب وإقرارًا باللسان كان عندهم مؤمنًا وعند بعضهم لا يكون مؤمنًا حتى يكون مع التصديق عمل فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمنًا. اهـ[1].

س٥٨ : هل كل أمر من أمور أصل الإيمان يكون من جنسها ما هو من كمال الإيمان؟

ج: اختلف أهل العلم من أهل السنة في هذه القضية بعض الاختلاف:

حيث قال بعضهم إن الإيمان أصله التصديق الإيماني بالله وباليوم الآخر... وهذا التصديق لا يقبل الزيادة والنقصان لأنه لو اعتراه النقص لصار شكًّا.

وقال آخرون من أهل العلم: إن كل أمر من أمور الإيمان يقبل الزيادة ويقبل النقص ولكن النقص يكون إلى حد لا يهدم الأصل فالتصديق يقبل الزيادة ولكنه لا ينقص حتى يصير شكًّا وإلا انهدم الإيمان وكذا كل أمور الإيمان.

قال النووي: (فإذا تقرر ما ذكرناه من مذاهب السلف وأئمة الخلف فهي متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين، وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه، وقالوا: متى قبل الزيادة كان شكًّا وكفرًا) قال المحققون من أصحابنا من المتكلمين قالوا نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها، وقالوا: وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وأصل وَضْعه (وَصْفه) في اللغة وما عليه المتكلمون. وهذا الذي قاله هؤلاء- وإن كان ظاهرًا حسنًا- فالأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة. ولهذا يكون إيمان الصديقيين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا يعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منشرحة بنوره وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من

---

(١) الفتاوى ج٧ ص٣٨٨.

المؤلفة ومَنْ قَارَبَهم ونحوهم ليسوا كـذلك، فهذا مما لا يمكن إنكاره ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصـديق ﷺ لا يساويه تصديق أحـد من الناس وبهذا قال البخاري في صحيحه: قال ابن أبي مليكة ﷺ: أدركت ثلاثين من صحابة النبي ﷺ كلهم يخـاف النفـاق على نفـسه مـا منهم أحـد يقول إنه عـلى إيمان جبـريل وميكائيل والله أعلم. اهـ[١].

هذا الكلام يُبيِّن أن مقتضيـات الإيمان منها ما هو أصل ومن جنسها تكون الزيادة بالكمال، وأخرج البـخاري عن ابن مسعود معلقًا قـال: «اليقين الإيمان كله»: قال في الشرح: وصَلَهُ الطبـراني بسند صحـيح ولا يصح رفعه وزاد (والصـبر نصف الإيمان) وفي الإيمان لأحـمد من طريق عـبد الله بن حكيم عن ابـن مسعـود أنه كان يـقول: **«اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا»**[٢].

فهـذا يدل على أن اليقين يزداد والتـصديق يزداد وهذا يدل علـى أن كل أمر من أمـور أصل الإيمان يكون الكمـال من جنسـهـا لكن هناك أمـور إيمانيـة من الأقـوال والأعمال تكون من أصلها من كمال الإيمان ولـذلك جاء في كثير من كلام أهل العلم أن كمـال الإيمان وزيادته إنما هو بانضـمام أمور الإيمان القـولية والعـملية كـالتسـبيح والتهليل والتلاوة والصيام والزكاة والحـج وغيرها إلى أصل الإيمان فيزداد مبنى الإيمان ويكمل وهذا الكلام صحيح ومقبول شرعًا وليس بينهم وبين ما تقرر من كلام غيرهم من أهل العلم تعـارض فـالمعنى الأول هو: وجـه من وجوه كـمـال الإيمان وزيادته، والمعنى الثاني: هو الوجه الأشهر والأبين لكمال الإيمان وزيادته.

قال ابن بطال: فـالإيمان مالم تحدث له الزيادة ناقص. قال: فـإن قيل الإيمان في اللغة التـصديق فالجواب: إن التـصديق يكمل بالطاعات كلهـا. فلما ازداد المؤمن من أعمـال البر كان إيمانه أكـمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان، وبنقـصانها ينقص. فـمتى

(١) النووي شرح مسلم (كتاب الإيمان).

(٢) إسناده صحيح.

نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد الإيمان كمالاً. هذا توسط القول في الإيمان. وأما التصديق بالله تعالى ورسوله ﷺ فلا ينقص ولذلك توقف مالك رحمه الله في بعض الروايات عن القول بالنقصان إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكًّا وخرج عن اسم الإيمان. اهـ[1].

* * *

فصل

في الاستثناء في الإيمان

س٥٩: ما معنى الاستثناء في الإيمان وما حكمه؟ وما فصل القول فيه؟

ج: هذه المسألة معروفة عند العلماء باسم الاستثناء في الإيمان وهي أن يقول الرجل: «أنا مؤمن إن شاء الله» وقد تعددت أقوال الناس في الاستثناء في الإيمان إلى ثلاثة أقوال ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ طرفان ووسط.

القول الأول: تحريم الاستثناء وهو قول المرجئة والجهمية، ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول أحدهم: أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين وكما أعلم أنني قرأت الفاتحة وكما أعلم أني أحب رسول الله ﷺ وأني أبغض اليهود والنصارى فقولي: أنا مؤمن كقولي أنا مسلم وكقولي: تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة، وكقولي: أنا أبغض اليهود والنصارى ونحو ذلك من الأمور التي أنا أعلمها وأقطع بها وكما أنه لا يجوز أن يقال أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله كذلك لا يقول أنا مؤمن إن شاء الله لكن إذا كان يشك في ذلك فيقول فعلته إن شاء الله. قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكَّاكة.

القول الثاني: إيجاب القول بالاستثناء وأنه يجب على المسلم أن يستثنى ولا يجزم بأنه مؤمن وهو قول القاضي أبي يعلى وغيره، وقالوا: إنه لو جاز القطع على أننا

---

(١) شرح مسلم للنووي كتاب الإيمان.

مـؤمنون لكان ذلك قطعًا عـلى أننا في الجنة لأن الله وعـد عبـاده المؤمنين بالجنة ولا يجوز القطع عـلى الوعد بالجنة لأن من شرط ذلك الموافـاة بالإيمان ولا يعلم ذلك إلا الله وكذلك الإيمان إنما يحصل بالموافاة ولا يُعلم ذلك ولهذا قال ابن مسعود ﷺ هَلا وَكَلَ الأولى كما وَكَل الآخـرة؟ يريد بذلك ما استدل به من أن رجـلاً قال عنده: إني مؤمن فقيل لابن مسعود: هذا يزعم أنه مؤمن قال: فسلوه أفي الجنة هو أو في النار؟ فسألوه فقال: الـله يعلم، فقال عبد الله بن مسعود: «فـهلا وَكَلت الأولى كما وَكَلْت الثانية».

القـول الثـالث: جواز الاسـتثناء دون إيجـابه وهذا أصح الأقوال وهـو مذهب أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل وغـيرهم من أئمة الدين، فإنهم كانوا يستـثنون وهذا متواتر عنهم ولكن ليس في هؤلاء من قال: أنا أستثنى لأجل الموافاة وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافى به العـبد ربه بل صـرح هؤلاء بأن الاسـتثناء إنما لأن الإيمان يتـضمن فـعل الواجبات فلا يشهدون لأنفسهم بذلك كمـا لا يشهدون لها بالبر والتقوى فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكـية لأنفسـهم بلا علم... ثم لقد وقـفت على كلام لابن تيمـية رحمه الله يبين المسألة وهو بحق فصل القول فيها فهو يقول رحمه الله[١]:

وأوسط الأقوال وأعدلها أنه يجوز الاستثناء باعتـبار وتركه باعتبار فإذا كان القائل مـقصـوده أني لا أعلم أني قائم بكل مـا أوجب الله عليّ وأنه يقـبل أعمـالي وليس مقصـوده الشك فيما في قلـبه فهذا استـثناؤه حسن وقصده أن لا يزكـى نفسه وأن لا يقطع بأنه عمل عـملا كما أمـر فقبل منه والذنوب كثيرة والنفاق مخوف عـلى عامة الناس... ثم قال: ولهذا كـان من جواب بعضهم إذا قـيل له أنت مؤمن آمنت بالله وملائكته وكـتبه فيجزم بهـذا ولا يعلقه (يستثنى بقـوله إن شاء الله) أو يقول إن كنت تريد الإيمان الذي يعصم دمي ومالي فأنـا مؤمن وإن كنت تريد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) الفتاوى ج١٣ ص٣٩ وما بعدها.

المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[2] فأنا مؤمن إن شاء الله.. ثم قال رحمه الله: والمشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثنى في الإسلام وهو المشهور عند أحمد رحمه الله...

ثم قال رحمه الله: والذين استثنوا لم يستثنوا في الإنشاء (الإقرار بالإسلام) كما تقدم كيف وقد أُمروا أن يقولوا «آمنا بالله وما أُنْزِل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط». وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[3] فأخبر أنهم آمنوا فوقع الإيمان منهم قطعًا بلا استثناء وعلى كل أحد أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا كما أمر الله بلا استثناء وهذا متفق عليه بين المسلمين ما استثنى أحد من السلف قط في مثل هذا وإنما الكلام إذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كما يخبر عن نفسه بأنه بَرٌّ تَقِي فإذا قال أنا بر تقي فقد زكى نفسه فيقول إن شاء الله وأرجو أن أكون كذلك. اهـ.

* * *

فصل

في بيان مناط الحكم ومناط الانتفاع

س ٦٠: ما معنى مناط الحكم ومناط الانتفاع؟

ج: مناط الحكم ومناط الانتفاع هو اصطلاح يتعلق بقضيتي الحكم في الدنيا والانتفاع في الآخرة وهي مسألة عُرفت عند العلماء فيما يتعلق بقضية الإيمان والحكم بالإسلام عرفوها «بالحكم بالظاهر» أو الإيمان في الدنيا والآخرة، أو الإسلام والإيمان أو «ظاهر

---

(١) الأنفال: ٢-٤. (٢) الحجرات: ١٥.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

الإسلام وحقـيقة الإيمان» أو «عصـمة المال والدم والانتفاع بالجنة»، أو غـير ذلك من الاصطلاحات التي تفـيد معنى واحدًا، وهذا المعنى يتلخص في أن قـضية الإيمان التي تتـركب من اعتـقاد وقـول وعمل هناك جـزء منها يتـعلق بالحكم في الدنيـا لمن أتى بمقتضيات حددها الشرع وأثبت بناءً عليها الحكم بالإسلام ظاهرًا دون النظر إلى صدق وإخلاص من أتى بتلك المقـتضيـات من عدمه وهناك الجـزء الأكبر من قضـية الإيمان والذي هو حقيقـة الإيمان الذي يترتب عليه انبعاث العبد يوم القـيامة في زمرة المؤمنين الموحدين بعيدًا عن المشركين و المنافقين فـيكون من الذين ينتفعون بفضل ربهم بدخول الجنة ولو بعـد حين لأنهم حقـقوا مقـتضى الإيمان النافع عند اللـه، ومن خلال هذه المقدمـة نعرف أن مناط الحكم هو تلك القيـود والشروط الشرعـية التي يترتب عليـها الحكم بالإسلام في الدنيـا ظاهرًا والله يتولى السرائر، ومناط الانتفـاع هو تلك القيود والشروط الشرعية التي يدخل بـها العبد في حقيقة الإيمان والتي يترتب عليـها انتفاعه يـوم القـيامـة برضا الله والجنان سـواء كان مـن السابقين أو المقـتصـدين أو من هم لأنفسهم ظالمين، وهذه القضية لم يفصل لهـا العلماء في كتب العقائد أو أبواب الكفر والإيمان أبوابًا وفصولاً ولكنها جاءت متقررة في كثير من كلامهم المتعلق ببناء الأحكام على الظاهـر ووجوب إثبـات الأحكام بالإسلام لمن أتى بلا إله إلا الله ومـا شابه من المسائل.

س٦١ : ما الذي يدل على قـضيـة مناط الحكم ومناط الانتـفـاع من الكتـاب والسنة؟

ج: يدل على هذه القـضية أدلة كـثيـرة من الكتاب والسنة أشـهرها وأبينهـا قول الله تعـالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[1].

(١) النساء: ٩٤.

قال القرطبي في بيان الآية: والمسلم إذا لقى الكافر ولا عهد له جاز له قتله، فإن قال لا إله إلا الله لم يجز قتله لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من دمه وماله وأهله فإن قَتَله بعد ذلك قُتِل به، وإنما سقط القتل عن هؤلاء لأجل أنهم كانوا في صدر الإسلام وتأولوا أنه قالها متعوذًا وخوفًا من السلاح، وأن العاصم قولها مطمئنًا فأخبر النبي ﷺ أنه عاصم كيفما قالها، ولذلك قال لأسامة: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**»(١) أي تنظر أصادق هو في قوله أم كاذب؟ وذلك لا يمكن فلم يبق إلا أن يبيِّن عن لسانه وفي هذا من الفقه باب عظيم وهو أن الأحكام تُنَاط بالمَظَان والظواهر لا عَلَى القطع وإطلاع السرائر.

قال الشوكاني في فتح القدير(٢) معنى الآية: والمراد هنا: لا تقولوا لمن ألقى إليكم واستسلم لست مؤمنًا فالسلم والسلام كلاهما بمعنى الاستسلام، وقيل: هما بمعنى الإسلام أي: لا تقولوا لمن ألقى إليكم الإسلام أي كلمته وهي الشهادة لست مؤمنًا. والمراد نهي المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر مما يُستدل به على إسلامه ويقولوا إنه إنما جاء بذلك تعوذا وتَقية، وقرأ أبو جعفر ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ من أمنه: إذا أجرته فهو مؤمن.

وقد استدل بهذه الآية على أن من قتل كافرًا بعد أن قال لا إله إلا الله قُتِل به لأنه قد عصم بهذه الكلمة دمه وماله وأهله، وإنما سقط القتل عمن وقع منه ذلك في زمن النبي ﷺ لأنهم تأولوا وظنوا أن من قالها خوفًا من السلاح لا يكون مسلمًا ولا يصير بها دمه معصومًا وأنه لابد من أن يقول هذه الكلمة وهو مطمئن غير خائف وفي حكم التكلم بكلمة الإسلام إظهار الانقياد بأن يقول: أنا مسلم أو أنا على دينكم، لما عرفت من أن معنى الآية الاستسلام والانقياد، وهو يحصل بكل ما يشعر بالإسلام من قول أو فعل، ومن جملة ذلك كلمة الشهادة وكلمة التسليم فالقولان الآخران في معنى الآية داخلان تحت القول الأول. اهـ.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) ج١ ص٧٥٦.

ومن السنة أدلة كثيرة أشهرها وأبينها: ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى»(١).

قال ابن رجب(٢): قوله: «عصموا مني دماءهم وأموالهم» يدل على أنه كان عند هذا القول مأموراً بالقتال وبقتل من أبى الإسلام، وهذا كله بعد هجرته إلى المدينة ومن المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلمًا، وقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال لا إله إلا الله لما رفع عليه السيف، واشتد نكيره عليه.

وقال أيضًا: وبهذا الذي قررناه يظهر الجمع بين ألفاظ أحاديث هذا الباب، ويتبين أن كلها حق فإن كلمتَي الشهادتين بمجردهما تَعْصِمُ من أتى بهما ويصير بذلك مسلمًا، فإذا دخل في الإسلام فإن أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وقام بشرائع الإسلام فله ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وإن أخلَّ بشيء من هذه الأركان فإن كانوا جماعة لهم منعة قوتلوا.

وقوله ﷺ: «وحسابهم على الله عز وجل» يعني أن الشهادتين مع إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة، فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقًا، أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذبًا، فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وقد تقدم أن في بعض الروايات في صحيح مسلم: ثم تلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(٣) والمعنى: إنما عليك تذكيرهم بالله ودعوتهم إليه،

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) جامع العلوم والحكم ص٢٨٨ وما بعدها طبعة مؤسسة الرسالة.

(٣) الغاشية: ٢١- ٢٦.

ولستَ مُسلطًا على إدخال الإيمان في قلوبهم قهرًا ولا مكلفًا بذلك، ثم أخبر أن مَرْجِع العباد كلهم إليه وحسابهم عليه. اهـ.

وقال الخطابي في معنى هذا الحديث وحديث أسامة وأمثاله: فيه من الفقه أن الرجل إذا تكلم بالشهادة وإن لم يتصف بالإيمان وجَب الكف عنه والوقوف عن قتله، سواء كان ذلك بعد القدرة عليه أو قبلها وفي قوله: «**هلا شققت عن قلبه**» دليل على أن الحكم إنما يجري على الظاهر وأن السرائر موكولة إلى الله تعالى. اهـ[1].

قال المناوي في فيض القدير: قوله في الحديث: «**بحسب امرئ من الإيمان**» أي: يكفيه منه من جهة القول (رضيت بالله ربًا) أي: وحده لا شريك له (وبمحمدٍ رسولاً) أي: مُبَلِّغًا (وبالإسلام دينًا) أتدين بأحكامه دون غيره من الأديان، فإذا قال ذلك بلسانه أجريت عليه أحكام الإيمان من عصمة الدم والمال وغير ذلك من الأحكام الدنيوية، فإن اقترن بذلك التصديق القلبي صار مؤمنًا إيمانًا حقيقيا موجبًا لدخول الجنة. اهـ.

قال الحافظ في معرض بيان قول النبي ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس...**» الحديث «**وحسابهم على الله**» أي: فيما يستسرون من الكفر والمعاصي بعد ذلك... والمعنى: أنا نحكم بظاهر الحال والإيمان القولي ونرفع عنهم ما على الكفار، ونؤاخذهم بحقوق الإسلام بحسب ما يقتضيه ظاهر حالهم لا أنهم مخلصون، والله يتولى حسابهم فيثيب المخلص ويعاقب ويجازي المصر بفسقه أو يعفو عنه. اهـ[2].

قال الطيبي: «**وحسابه على الله**» يعني من قال لا إله إلا الله، وأظهر الإسلام نترك مقاتلته ولا نفتش باطنه هل هو مخلص أم لا فإن ذلك إلى الله تعالى وحسابه عليه. اهـ[3].

قال ابن حجر في الفتح[4] تعليقًا على حديث: «**أمرت أن أقاتل الناس**» وقال الخطابي: في الحديث أن من أظهر الإسلام أجريت عليه أحكامه الظاهرة ولو أسر

(١) عون المعبود كتاب الجهاد: باب: على ما يقاتل المشركون.

(٢) تحفة الأحوذي كتاب الإيمان ما جاء في «أمرت أن أقاتل الناس». (٣) المرجع السابق.

(٤) فتح الباري. كتاب استتابة المرتدين باب قتل من أبى قبول الفرائض ج١٢- ص٢٩٣.

الكفر في نفس الأمر ومحل الخلاف فيمن هو اطلع على معتقده الفاسد فأظهر الرجوع، هل يقبل منه أو لا؟ وأما من جُهل أمره فلا خلاف في إجراء الأحكام الظاهرة عليه. اهـ.

فهذه بعض الأدلة الدالة على التفريق بين الحكم في الدنيا والحكم عند الله من خلال كلام أهل العلم المبيِّن لدلالتها وليس هذا إلا بعضها وهناك غيرها كثير، وهذه الأدلة تدل من خلال كلام أهل العلم البيِّن على استقرار المسألة عندهم واتفاقهم عليها ولذلك بوَّب النووي رحمه الله في رياض الصالحين: باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى وأورد فيه (آية التوبة: ٥)، وحديث ابن عمر: «**أمرت أن أقاتل الناس**»، وحديث أسامة بن زيد: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله**» وغيره من الأحاديث التي سبق ذكرها في بيان المسألة، وأورد في الباب أيضًا أثرًا يبين المسألة بيانًا شافيًا عن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن ناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة[١].

س٦٢: هل قضية مناط الحكم ومناط الانتفاع متفق عليها عند علماء أهل السنة؟

ج: تقدم الكلام المبين لهذه المسألة من خلال كلام أهل العلم الذي جاء مبينًا للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وقد ظهر من هذا الكلام أن قضية التفريق بين الأحكام الدنيوية والأحكام في الآخرة (مناط الحكم ومناط الانتفاع) قضية مُبْرَمة ثابتة في عقيدتهم ولمزيد من البيان أسوق كلامًا مفصلاً لبعضهم مع اختلاف مذاهبهم العملية ومَنْشأهم والبعد بينهم الشديد في الوجهة والموطن وهو كلام لابن حزم الأندلسي رحمه الله، وابن تيمية جبل العلم في العقيدة وغيرها.

(١) رواه البخاري - كتاب الشهادات حديث رقم ٢٦٤١.

يقول ابن حزم[١]: وأما من قال إن الإيمان إنما هو الإقرار باللسان فإنهم احتجوا بأن النبي ﷺ وجميع أصحابه ﵃ وكل من بعدهم قد صَحَّ إجماعهم على أن من أعلن بلسانه شهادة الإسلام فإنه عندهم مسلم محكوم له بحكم الإسلام، وبقول رسول الله ﷺ في السوداء: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[٢]، وبقوله ﷺ لعمه أبي طالب: «**قل كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل**»[٣].

قال: وكل هذا لا حجة لهم فيه، فأما الإجماع المذكور فصحيح وإنما حكمنا لهم بحكم الإيمان في الظاهر ولم نقطع على أنه عند الله تعالى مؤمن وهكذا قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما أرسلت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[٤]، وأما قوله عليه السلام في السوداء: «**إنها مؤمنة**» فظاهر الأمر كما قال عليه السلام إذ قال له خالد بن الوليد: رُب مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال عليه السلام: «**إني لم أُبْعَث لأشُق عن قلوب الناس**»، وأما قوله لعمه: «**كلمة أحاج لك بها عند الله**» فنعم يحاج بها على ظاهر الأمر وحسابه على الله تعالى فبَطَل كلٌّ ما مَوَّهُوا به ثم نُبين بطلان قولهم إن شاء الله، فنقول وبالله تعالى نتأيد: أنه يُبَيِّن بطلان قول هؤلاء قول الله عز وجل: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[٥]، وقوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ**﴾[٦]. اهـ.

وأما ابن تيمية رحمه الله فقال[٧]: وأما احتجاجهم بقوله للأَمَة: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» فهو من حججهم المشهورة وبه احتج ابن كلاب وكان يقول الإيمان هو التصديق والقول جميعًا فكان قوله أقرب من قول جهم وأتباعه وهذا لا حجة فيه لأن

---

(١) الفصل ج٣ ص١١٥. (٢) رواه مسلم وأبو داود.
(٣) رواه البخاري ومسلم. (٤) سبق تخريجه. (٥) البقرة: ٨، ٩.
(٦) المائدة: ٤١. (٧) مجموع الفتاوى ج٧ ص٢٠٩ وما بعدها.

الإيمان الظاهر الذي تجرى عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة فإن المنافقين الذين قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس ويصومون ويحجون ويغزون، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ ولم يحكم النبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار والمُظْهِرين للكفر لا في مناكحتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله ابن سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين.

ثم قال رحمه الله: وكان النبي ﷺ أولاً يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهاه الله عن ذلك فقال: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ**﴾[1]، وقال: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾[2] فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم ولكن دماءهم وأموالهم معصومة لا يستحل منهم ما يستحله من الكفار الذين لا يُظهرون أنهم مؤمنون بل يظهرون الكفر دون الإيمان فإنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»، ولما قال لأسامة ابن زيد: «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**» قال: إنما قالها تعوذاً، قال: «**هلا شققت عن قلبه**»[3]، وقال: «**إني لم أُومَر أن أُنَقِّب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**» وكان إذا استؤذن في قتل رجل يقول أليس يصلي؟ أليس يتشهد؟ فإذا قيل له إنه منافق قال ذاك.

فكان حكمه في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم لا يستحِل منها شيئًا إلا بأمر ظاهر مع أنه كان يعلم نفاق كثير منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه قال تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ**

---

(١) التوبة: ٨٤. (٢) التوبة: ٨٠.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾[١] وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون الذين لا يعلمون أنه منافق، ومن علم أنه منافق لم يصل عليه وكان عمر إذا مات ميت لم يصل عليه حتى يصلي عليه حذيفة لأن حذيفة كان قد أُعلم بأعيانهم وقد قال الله تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾**[٢] فأمر بامتحانهن هنا وقال الله أعلم بإيمانهن والله تعالى لما أمر في الكفارة بعتق رقبة مؤمنة لم يكن على الناس أن يعتقوا إلا من يعلمون أن الإيمان في قلبه فإن هذا كما لو قيل لهم اقتلوا إلا من علمتم أن الإيمان في قلبه وهم لم يؤمروا أن ينقبوا عن قلوب الناس ولا يشقوا بطونهم فإذا رأوا رجلاً يظهر الإيمان جاز لهم عتقه وصاحب الجارية لما سأل النبي هل هي مؤمنة إنما أراد الإيمان الظاهر الذي يفرق به بين المسلم والكافر، وكذلك من عليه نذر لم يلزمه أن يعتق إلا من علم أن الإيمان في قلبه فإنه لا يعلم ذلك مطلقًا بل ولا أحد من الخلق يعلم ذلك مطلقًا وهذا رسول الله أعلم الخلق والله يقول له **﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين﴾** فأولئك إنما كان النبي ﷺ يحكم فيهم كحكمه في سائر المؤمنين ولو حضرت جنازة أحدهم صلى عليها ولم يكن منهيًا عن الصلاة إلا على من علم نفاقه وإلا لزم أن ينقب عن قلوب الناس ويعلم سرائرهم وهذا لا يقدر عليه بشر، ولهذا لما كشفهم الله بسورة براءة بقوله: «ومنهم، ومنهم» صار يعرف نفاق ناس منهم لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك فإن الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم وما كان الناس يجزمون بأنها مستلزمة لنفاقهم وإن كان بعضهم يظن ذلك وبعضهم يعلمه فلم يكن نفاقهم معلومًا عند الجماعة بخلاف حالهم لما نزل القرآن ولهذا لما نزلت سورة براءة كتموا النفاق وما بقي يمكنهم من إظهاره أحيانًا ما كان يمكنهم قبل ذلك، وأنزل الله تعالى: **﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض**

---

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) الممتحنة: ١٠.

وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[١]، فلما توعدوا بالقتل إذا أظهروا النفاق كتموه، ولهذا تنازع الفقهاء في استتابة الزنديق فقيل: يُستتاب واستدل من قال ذلك بالمنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويَكل أمرهم إلى الله فيقال لهم هذا كان في أول الأمر وبعد هذا أنزل الله: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ فعلموا أنهم إن أظهروه كما كانوا يظهرونه قتلوا فكتموه، والزنديق هو المنافق وإنما يقتله مَنْ يقتله إذا ظهر منه أنه يكتم النفاق قالوا: ولا تعلم توبته لأن غاية ماعنده أنه يظهر ما كان يظهر وقد كان يظهر الإيمان وهو منافق ولو قُبِلَت توبة الزنادقة لم يكن سبيل إلى تقتيلهم والقرآن قد توعدهم بالتقتيل والمقصود أن النبي إنما أخبر عن تلك الأمَة بالإيمان الظاهر الذي علقت به الأحكام الظاهرة وإلا فقد ثبت عنه أن سعدًا لما شَهِد لرَجلٍ أنه مؤمن قال: أوْمُسْلِم، وكان يظهر من الإيمان ما تُظْهِره الأمَة وزيادة فيجب أن يُفَرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب فالمؤمن المستحق للجنة لابد أن يكون مؤمنًا في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع آخر[٢]: وقد عُلِم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يُؤْمَر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فبذلك يصير الكافر مسلمًا والعدو وليًّا، والمُبَاح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان. وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان. قال: وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين ظاهرًا وباطنًا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء. اهـ.

---

(١) الأحزاب: ٦٠- ٦٢.

(٢) نقله عنه صاحب كتاب فتح المجيد في باب «الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله».

س٦٣ : عرفنا أن مناط الحكم هو إثبات الحكم بالإسلام ظاهراً بمقتضى شروط وقيود شرعية فما الذي يُشْتَرط لمناط الحكم؟

ج: لقد اتضح مما سبق من ذِكر الأدلة الدالة على التفريق بين مَنَاط الحكم ومناط الانتفاع أن الشرع أثبت حكم الإسلام بالظاهر لمن أتى بالشهادتين ولم يأت معهما بناقض ودل على ذلك دليل الكتاب والسنة مثل حديث: «**أُمرت أن أقاتل الناس**» وحديث أسامة وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[1] وغير ذلك من الأدلة التي بسطت القول فيها في الكلام على ما يدل على مناط الحكم ومناط الانتفاع من الشرع، ولم يشترط الشرع لإثبات الإسلام ظاهراً أكثر من ذلك حتى حكى ابن حزم الإجماع على ذلك كما سبق ذكره حيث قال: أن النبي ﷺ وجميع أصحابه ﷺ وكل مَنْ بعدهم قد صح إجماعهم على إن من أعلن بلسانه بشهادة الإسلام فإنه عندهم مسلم محكوم عندهم بحكم الإسلام. اهـ.

ويقول ابن حجر رحمه الله: أما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط فمن أقر أُجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يُحْكَم عليه بكفر إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم[2] اهـ.

ومن المهم مراجعة الكلام في إجابة السؤال رقم (٣٤) لمعرفة المزيد من هذه المسألة.

س٦٤ : إن كان ذلك كذلك فما الذي يشترط للانتفاع في الآخرة أو ما قيود مناط الانتفاع؟

ج: من المعلوم أن المراد من الخلق هو حقيقة الإيمان النافعة عند الله تعالى وهذه الحقيقة أصلها ومعظم ضوابطها في القلب حتى الأعمال التي هي شروط للإيمان لابد معها من مقتضيات إيمانية قلبية من الإخلاص والصدق واليقين وما شابه، فإن كان العبد يثبت له حكم الإسلام الظاهر بمجرد التكلم بالشهادتين ما لم يقترن معها فعل

---

(١) النساء: ٩٤.

(٢) فتح الباري كتاب الإيمان باب: ١.

يدل على الكفر فإنه لا يدخل في حقيقة الإيمان النافعة في الآخرة إلا بالقيود الثقال التي قيد الله بها كلمة الإيمان، والتي قد يعرف بمقتضيات الإيمان النافع أو حقيقة الإيمان أو شروط لا إله إلا الله أو مناط الانتفاع وكلها اصطلاحات تدل على مُراد واحد وهو تحقيق العبد للإيمان الذي يرضاه الله تعالى ويقبله من العبد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم... الآية.

وقد تكلم العلماء في بيان هذا المقام وأفردوا لهذه الحقائق والمقتضيات مصنفات تبين مقامات الإيمان القلبية وترشد إلى تحقيقها طلبًا للنجاة عند الله سبحانه وتعالى، فهذا ابن تيمية رحمه الله يطيل الكلام في هذه المسألة ويقول في معرض بيانه للأحاديث المتعلقة بمناط الانتفاع كحديث عتبان ﷺ: «**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(١). وكحديث معاذ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله تعالى على النار**»(٢).

فقال رحمه الله: في هذا الحديث ونحوه أنها فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله: «**خالصًا من قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين**» فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى جملة فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: «**لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة وما يزن ذرة**» وتواترت بأن كثيراً ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يُصَلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ولكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص. وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الرقاق: «باب العمل الذي يبتغي به وجه الله».

(٢) أخرجه البخاري.

ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء، كما في الحديث: «**سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»(١) وغالب أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتداء بأمثالهم وهم من أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾(٢).

وبَوَّب القرطبي في المُفْهِم على صحيح مسلم(٣): باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين بل لابد من استيقان القلب. قال: هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غُلاة المرجئة القائلين: إن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعًا. اهـ.

وقال صاحب فتح المجيد(٤) في معرض بيانه لحديث عبادة بن الصامت: «**قوله: من شهد أن لا إله إلاالله**» أي: من تكلم بها عارفًا لمعناها، عاملاً بمقتضاها باطنًا وظاهرًا، فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعلم بمدلولها، كما قال الله تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾(٥)، وقوله: ﴿ **إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾(٦) أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، فغير نافع بالإجماع. اهـ.

---

(١) هو جزء من حديث طويل رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف. ولكن له شواهد يقوي بها. منها ما رواه الترمذي رقم (١٠٧١) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر. وفي البخاري ومسلم من حديث أنس: كنت أقول ما يقول الناس فيه.

(٢) الزخرف: ٢٣.

(٣) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم ج١ ص٢٠٤ طبعة دار ابن كثير- الكلم الطيب دمشق.

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٤٤ مكتبة المؤيد- الطائف.

(٥) محمد: ١٩.

(٦) الزخرف: ٨٦.

س٦٥ : هل نفهم من الكلام على مناط الحكم أنه لا يشترط إلا التكلم بالشهادتين؟

ج: عرفنا مما تقدم أن الحكم الظاهر يجرى على مَنْ أظهر الإسلام وإظهار الإسلام في كلام العلماء يعني الإتيان بالشهادتين هذا أولاً وأن لا يأتي معهما بناقض لأن هذا ضد إظهار الإسلام ثم يُطالَبُ بقبول شرائع الإسلام وعدم إنكار شيء منها ثم يُطالَب بالتزام ما هو مطالب به وعلى رأس ذلك الصلاة ثم الزكاة إن كان من أهل الأموال وهكذا... فالقول بإثبات حكم الإسلام بالظاهر لمن أتى بالشهادتين هو مُوجب الامتثال للأمر الشرعي بعدم الامتناع عن إثبات حكم الإسلام لمن أتى بالشهادتين وعدم التوقف في ذلك، وهذا لا يعني أن هذا هو غاية المطلوب في الحكم بالإسلام وإلا ما كان الصحابة ومن بعدهم يختلفون في كفر تارك مباني الإسلام وخاصة الصلاة وهذا يدل على أن حكم الإسلام يثبت ابتداءً لمن أتى بالشهادتين ولم يأت معهما بناقض ثم يُطَالَب بما يلزم لذلك ليستمر إثبات حكم الإسلام له...

قال ابن حجر(١): وفيه منع قتل من قال لا إله إلا الله ولو لم يزد عليها، وهو كذلك لكن هل يصير بمجرد ذلك مسلمًا؟ الراجح لا، بل يجب الكف عن قتله حتى يُخْتَبَر، فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حكم بإسلامه، وإلى ذلك الإشارة بالاستثناء به بقوله: «**إلا بحق الإسلام**» قال البغوي: الكافر إذا كان وثنيًا أو ثنويًا لا يقر بالوحدانية فإذا قال: لا إله إلا الله حكم بإسلامه ثم يجبر على قبول جميع أحكام الإسلام ويبرأ من كل دين خالف دين الإسلام، وأما من كان مقرًا بالوحدانية منكرًا للنبوة فإنه لا يحكم بإسلامه حتى يقول: «محمد رسول الله» فإن كان يعتقد أن الرسالة المحمدية إلى العرب خاصة فلابد أن يقول إلى جميع الخلائق، فإن كان كَفَر بجحود واجب أو استباحة محرم فيحتاج أن يرجع عما اعتقده، ومقتضى قوله: «يُجبَر» أنه إذا لم يلتزم تجرى عليه أحكام المرتد. اهـ.

---

(١) فتح الباري ج١٢ ص٢٩٢ طبعة الريان.

وقال ابن رجب[(١)]: قوله: «**عصموا مني دماءهم وأموالهم**» يدل على أنه كان عند هذا القول مأمورًا بالقتال، وبقتل من أبى الإسلام وهذا كله بعد هجرته إلى المدينة ومن المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويَعْصِم دمه بذلك، ويجعله مسلمًا، وقد أنكر على أسامة بن زيد قتله لمن قال لا إله إلا الله لما رفع عليه السيف، واشتد نكيره عليه.

ثم قال: وبهذا الذي قررناه يظهر الجمع بين ألفاظ أحاديث هذا الباب، ويتبين أن كلها حق فإن كلمتي الشهادتين بمجردهما تَعْصِم من أتى بهما، ويصير بذلك مسلمًا، فإذا دخل في الإسلام، فإن أقام الصلاة وآتى الزكاة، وقام بشرائع الإسلام فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن أخل بشيء من هذه الأركان فإن كانوا جماعة لهم منعة قوتلوا. وقد ظن بعضهم أن معنى الحديث أن الكافر يُقَاتل حتى يأتي بالشهادتين ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة، وجعلوا ذلك حجة على خطاب الكفار بالفروع وفي هذا نظر، وسيرة الرسول ﷺ في قتال الكفار تدل على خلاف هذا، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ دعا عليًّا يوم خيبر فأعطاه الراية وقال: «**امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك**» فسار عليٌّ شيئًا ثم وقف، فصرخ: يا رسول الله: على ماذا أقاتل الناس؟ فقال: «**قاتلهم على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل**» فجعل مجرد الإجابة إلى الشهادتين عاصمة للنفوس والأموال إلا بحقها. ومن حقها الامتناع من الصلاة والزكاة بعد الدخول في الإسلام كما فهمه الصحابة ﵃. ومما يدل على قتال الجماعة الممتنعين من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من القرآن قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ**

---

(١) جامع العلوم والحكم في الكلام على الحديث الثامن «أمرت أن أقاتل الناس».

(٢) التوبة: ١١. (٣) البقرة: ١٩٣.

الْقَيِّمَةِ﴾[١]، وثبت أن النبي ﷺ «**كان إذا غزا قومًا لم يُغِر عليهم حتى يُصْبِحَ فإن سمع أذانًا وإلا غار عليهم**»[٢] مع احتمال أن يكونوا قد دخلوا في الإسلام، وكان يُوصي سراياه: «**إن سمعتم مؤذنًا أو رأيتم مسجدًا، فلا تقاتلوا أحدًا**»[٣]. وقد بعث عُيينة بن حصن إلى قوم من بني العنبر فأغار عليهم ولم يسمع أذانًا، ثم ادعوا أنهم قد أسلموا قبل ذلك. فهذا كله يدل على أنه ﷺ كان يعتبر حال الداخلين في الإسلام، فإن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وإلا لم يمتنع عن قتالهم. وأما قتل الواحد الممتنع عنها، فأكثر العلماء على أنه يقتل الممتنع من الصلاة، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي عبيد وغيرهم، ويدل على ذلك ما في الصحيحين[٤] عن أبي سعيد الخدري أن خالد بن الوليد استأذن النبي ﷺ في قتل رجل فقال: «**لا لعله يكون يصلي**» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أُؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**».

وفي مسند الإمام أحمد عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى النبي ﷺ فاستأذنه في قتل رجل من المنافقين. فقال النبي ﷺ: «**أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟**» قال: بلى ولا شهادة له، قال: «**أليس يصلي؟**» قال: بلى ولا صلاة له، قال: «**أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم**»[٥].

وأما قتل الممتنع من أداء الزكاة ففيه قولان لمن قال: يقتل الممتنع من فعل الصلاة:

أحدهما: يقتل أيضًا وهو المشهور عن أحمد ويستدل له بحديث ابن عمر هذا.

والثاني: لا يقتل وهو قول مالك والشافعي وأحمد في رواية.

وقوله ﷺ: «**وحسابهم على الله عز وجل**» يعني أن الشهادتين مع إقام الصلاة

---

(١) البينة: ٥. (٢) رواه البخاري (٦١٠).

(٣) رواه أحمد ٤/ ٢٢٦، وأبو داود (٢٦٣٥)، والترمذي (١٥٤٩) وقال: حسن غريب.

(٤) البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٤).

(٥) رواه أحمد ٥/ ٤٣٢- ٤٣٣، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقًا أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذبًا فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقد تقدم أن في بعض الروايات في صحيح مسلم ثم تلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[1] والمعنى: إنما عليك تذكيرهم بالله، ودعوتهم إليه ولست مسلطًا على إدخال الإيمان في قلوبهم قهرًا ولا مكلفًا بذلك ثم أخبر أن مرجع العباد كلهم إليه وحسابهم عليه. اهـ.

س٦٦ : ما الذي يعود علينا من تعلم مسألة مناط الحكم ومناط الانتفاع؟

ج: تعلم هذه المسألة يحقق مقتضيات شرعية عقدية فيما يتعلق بمسائل الإيمان والإسلام يمكن أن نلخص هذه المقتضيات فيما يلي:

١- معرفة الفارق بين ظاهر الإسلام وحقيقة الإيمان وأن العبد لا ينتفع في الآخرة بمجرد تحقيق ظاهر الإسلام أو ثبوت حكم الإسلام الظاهر له حتى يضيف إلى ذلك تحقيق مناط الانتفاع (حقيقة الإيمان).

٢- الاستجابة الشرعية لإثبات الأحكام بالظاهر وعدم الامتناع من ذلك جريًا مع مقتضى الأدلة الشرعية الملزمة لإثبات الأحكام بالظاهر.

٣- اعتقاد المعنى الشرعي لمناط الحكم وهو أن لا إله إلا الله عاصمة للمال والدم على كل حال وكيفما قالها متى أتى بها بشرط ألا يُظْهر معها ما هو كفر.

٤- اعتقاد المعنى الشرعي لمناط الانتفاع وهو أن الإيمان ليس مجرد كلمة بل هو قضية مركبة من الاعتقادات والأقوال والأعمال التي دل عليها دليل الشرع لا يستحق العبد وصف الإيمان الذي يترتب عليه الانتفاع في الآخرة إلا بتحقيقها.

٥- معرفة الفارق بين النصوص المتعلقة بلا إله إلا الله لماذا جاء في بعضها إثبات

---

(١) الغاشية: ٢١- ٢٦.

عصمة المال والدم مع توكيل الله عز وجل في حساب الآخرة، وجاء في بعضها إثبات الجنة كما في الحديث: «**من قال لا إله إلا الله مخلصًا بها قلبه دخل الجنة**» وغيره كثير.

٦- عدم الانشغال بالبحث عما في باطن الناس والإيمان بأن ذلك هو لله وحده وأن تعامل الناس فيما بينهم يجري على الظواهر بناءً على القاعدة «أن الأحكام على الناس تبنى على المظان والظواهر لا على القطع واطلاع السرائر»[1].

٧- معرفة أن العبد لا ينجو عند الله بمجرد ثبوت حكم الإسلام له كما تقدم وهذا يبعث على شدة الاهتمام بتحقيق مناط الانتفاع بتعلم مقتضيات الانتفاع وفهمها وتدبرها والعمل بمقتضاها وهذا من أهم فوائد تعلم تلك المسألة والله أعلى وأعلم.

س٦٧: إذا كان هذه المسألة من الفوائد العظيمة فهل في الجهل بها مضار ومفاسد؟ وإن كان فما هي؟

ج: لو لم يكن للجهل بهذه المسألة من المضار والمفاسد في دين العبد إلا أن يفوته ما في تعلمها من فوائد لكفى بهذه مفسدة، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد بل إن الجهل بهذه المسألة يجر إلى مفاسد عِدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- عدم الامتثال للنصوص الشرعية الموجبة لإثبات الحكم بالظاهر.

٢- الخلط بين مناط الحكم ومناط الانتفاع وهذا يجر إلى مفاسد عقدية منها:

ا- جعل الإيمان مجرد كلمة وذلك بالنظر إلى النصوص المتعلقة بمناط الحكم وهذا يجر إلى الإرجاء والقول بقول الكرامية الذين يرون أن الإيمان مجرد قول وهذا فساد عقدي عظيم.

ب- الامتناع عن إثبات الحكم بالإسلام ظاهرًا لمن أتى بالشهادتين بدعوى أنه قد يكون فاسد الاعتقاد أو لم يحقق شروط الإيمان بالله والكفر بالطاغوت وما شابه وهو ما يعرف بالتوقف والتبين وهذا من الفساد العقدي أيضًا الذي يجر إلى

(١) تقدم تفصيل هذا في الأسئلة السابقة فليراجع.

المغالاة المُفْضِيَة إلى التكفير بغير مُوجِب أو إيجاد حال وموقف غير شرعي بحيث يكون الناس في الدنيا عند صاحب هذا الحال المختلط عليه مناط الحكم ومناط الانتفاع على ثلاثة أقسام، مؤمن، وكافر، ومتوقف فيه وهذا خلاف الشرع ومنهج أهل السنة الذين يرون أن الناس ينقسمون إلى قسمين (مؤمن، وكافر) والمؤمن عندهم في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان (الفاسق) ومؤمن كامل الإيمان وكلاهما يثبت له حكم الإسلام الظاهر والله يتولى السرائر.

وبالتالي فمن مفاسد عدم العلم بهذه المسألة الوقوع في الإرجاء والتجهم أو المغالاة في التكفير والابتداع بالتوقف البدعي وهما أمران أحلاهما مُر والله الهادي إلى سواء السبيل.

س٦٨: ما هو التوقف البدعي؟ وهل هناك توقف شرعي؟

ج: التوقف اصطلاح يقصد به الامتناع عن الحكم الظاهر حتى يتبين أو يتثبت من حال من توقف فيه ولذلك يرتبط في كلام مَنْ يُنسب إليهم هذا المعنى بلفظ التبين فيقال: مَنْ لا تعرفه توقَّفْ فيه حتى تعلم حاله وتتبين عقيدته وهو الذي يمكن أن يُسمى توقفا وتبينًا وهذا الحال أو المسلك منه ما هو شرعي ومنه ما هو بِدعي، فأما الشرعي منه فهو الذي بينه العلماء في كلامهم على قول الله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾(١) الآية.

فبينوا في كلامهم أن كل من أتى بموجِب الحكم الظاهر فلا ينبغي أن يتوقف في إثبات الحكم له بالإسلام ولا ينبغي التردد أو الامتناع عن ذلك بدعوى أنه قد يكون قال كلمة الإسلام أو نحو ذلك تعوذًا أو خوفًا من السيف أو غير ذلك بل بينوا أنه يحرم على المؤمنين أن يمتنعوا أو يتوقفوا في ذلك، لكنهم بينوا أيضًا أن بعض الحالات التي يأتي فيها الكافر بأمور مُشكلة لا يتضح منها حقيقة إظهاره للإسلام فإن المؤمنين في هذه الحالات مطالبون بالتبين والتثبت من حقيقة حالهم وبالتالي فإن التبين في الشرع لا يكون إلا إذا أتى العبد من غير المسلمين بأمر مُشكل لا يدل على إظهاره للإسلام أو

(١) النساء: ٩٤.

على قبـوله للإسلام، والمراد بالأمر المُشْكَل مـثل أن يلقى تحية الإسلام وهو من غـير المسلمين أو يُظهر بعض هديهم مما لا يدل يقينًا على الإسلام أو يقول أتيت مُسْتَأْمنًا.

قال القرطبي[١]: المسألة السادسة: فإن قال سلام عليكم فلا ينبغي أن يُقتل حتى يعلم ما وراء هذا لأنـه موضع إشكال، وقال مـالك في الكافر يوجـد فيقـول: جئت مستأمنًا أطلب الأمان، هـذه أمور مشكلة وأرى أن يُرَد إلى مأمنه ولا يُحكَم له بحكْم الإسلام لأن الكفر قد ثبت له فلابد أن يظهر منه ما يدل على قوله ولا يكفي أن يقول أنا مسلم ولا أنا مؤمن. اهـ. ففي هذا الكلام إشارة واضحة إلى التوقف في حال مَنْ أتى بأمر مُشكل ليس إلا، وقد مَرَّ فيما سَبَق من مسائل في الأسئلة السابقة، ما يدل على اتفـاق أهل العلم في وجـوب إثبـات الحكم الظاهر لمـن أتى بقـرينة الإسـلام المنصوص عليها وخاصة الشهادتين.

وقد جاء من كـلام العلماء في معنى ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ في آية النساء التي فيـها الأمر بالتبين والتثبت، أن المراد بالتبين هو التأمل والتأني فيمن أُشكل أمره.

قال الطبـري: فتبـينوا: يقول فتـأنوا في قتل من أشكل عليكم أمـره فلم تعلموا حقيقة إسـلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا من التـبس عليكم أمره ولا تقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقينًا حربًا لكم ولله ولرسوله، وقال أيضًا عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[٢] قال: حرم الله على المؤمنين أن يقولوا لمن شـهد أن لا إله إلا الله لست مؤمنًا كمـا حرم عليهم الميتـة فهو آمن على ماله ودمه لا تردوا عليه قوله. اهـ[٣].

قال البـغوي[٤]: (فتبينوا) أي قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر. اهـ، فهذا هو التبين الشرعي وهو التـأمل والوقوف لمعرفة حال من أتى من الكفار بأمـر مُشْكَل، أما التبين البدعي فهو التوقف عن إثبات الحكم الظاهر لمن أثبت الشرع لهم حكم الإسلام

---

(١) في تفسيره عند بيان آية النساء ٩٤.
(٢) النساء: ٩٤.
(٣) تفسير الطبري عند بيان آية النساء: ٩٤.
(٤) تفسير البغوي عند بيان آية النساء: ٩٤.

بناءً على مقتضيات الحكم الظاهر فإن الامتناع عن إثبات الحكم الظاهر لهؤلاء والتوقف فيهم بدعوى تبين عقيدتهم امتناع عن مُوجِب الحكم الشرعي ثم إن دعوى التبين من عقيدتهم هى أمر لم يأمر به الشرع، ولا يدل عليه دليل، بل هو مما أحدثه المحدثون.

يقول ابن تيمية[1]: وليس من شرط الإتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه ولا أن يمتحنه فيقول ماذا تعتقد بل يصلي خلف مستور الحال. اهـ.

ويقول أيضًا: وقول القائل: لا أسلم مالي إلا لمن أعرف، ومراده لا أصلي خلف من لا أعرفه كما لا أسلم مالي إلا لمن أعرفه، كلام جاهل لم يقله أحد من أمة الإسلام فإن المال إذا أودعه الرجل المجهول فقد يخونه فيه وقد يضيعه وأما الإمام فلو أخطأ أو نسى لم يُؤاخَذْ بذلك المأموم كما في البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: **«أئمتكم يُصَلون لكم ولهم فإن أصابوا فلكمُ ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم»** فجَعَل خطأ الإمام على نفسه دونهم وقد صلى عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم وهو جنب ناسيًا الجنابة فأعاد ولم يأمر المأمومين بالإعادة وهو مذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه، وكذلك لو فعل الإمام ما يسوغ عنده وهو عند المأموم يبطل الصلاة مثل أن يفتصد ويصلي ولا يتوضأ أو يمس ذكره أو يترك البسملة وهو يعتقد أن صلاته تصح مع ذلك والمأموم يعتقد أنها لا تصح مع ذلك فجمهور العلماء على صحة صلاة المأموم كما هو مذهب مالك وأحمد في أظهر الروايتين بل في أنصهِما عنه وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي اختاره القفال وغيره، ولو قدر أن الإمام صلى بلا وضوء متعمدًا والمأموم لم يعلم حتى مات المأموم لم يطالب الله المأموم بذلك ولم يكن عليه إثم باتفاق المسلمين بخلاف ما إذا عَلِم أنه يصلي بلا وضوء فليس له أن يصلي خلفه فإن هذا ليس بمصلٍّ بل لاعب ولو علم بعد الصلاة أنه صلى بلا وضوء ففي الإعادة نِزَاعٌ. اهـ.

(١) الفتاوى: ج٢٣ ص٣٥١ وما بعدها.

س٦٩ : عرفنا بعض ما يتعلق بمستور الحال فمن مستور الحال؟ وما الفارق بينه وبين مجهول الحال؟

ج: الناس في الإسلام إما مؤمن وإما كافر، والمؤمن منه ما هو العدل ومنه ما هو دون ذلك، والكافر هو كل من لم يثبت له حكم الإسلام الظاهر، ومستور الحال: هو مَنْ ثبت له حكم الإسلام الظاهر بمقتضى من مقتضيات الإسلام لكنه لا يُعرف عنه عدالة مِن عدمها، وأما مجهول الحال: فهو من اختلط حاله بين المؤمنين والكافرين بحيث يصعب تميزه إلى أحد الفريقين ولكن سرعان ما يمكن إلحاقه بالمسلمين أو الكافرين بمقتضى من مقتضيات الإسلام أو الكفر فالإسلام يثبت للشخص المعين بالشهادتين أو بقرينة تدل على الإسلام كالصلاة ونحوها على تفصيل في كلام العلماء، وإلحاقًا بالأبوين وإلحاقًا بأهل الدار مالم توجد قرينة دالة على الكفر كاتخاذ الصليب وتعليقه أو السجود للصنم أو عبادة النار، وكذلك الإلحاق بالآباء الكفار والإلحاق بأهل الديار الكافرة وغير ذلك من دلائل الكفر، وعلى هذا فجهالة الحال يوصف بها من لا يُعلم عنه أي من هذه الأمور التي تخص الإسلام أو الكفر، وبمجرد أن يُعلم عنه أي منها سيلحق حتمًا بالفريق التي تخصه هذه العلامة، ولاشك أن المَحكّة والتعامل تجعل من تتعامل معه عندك إما مسلم على أي حالٍ كان (عدلا- مستوراَ- فاسقًا) أو مُتوقَّفًا فيه لأنه جاء بأمر مشكل فيتبين منه التبين الشرعي، أو كافر (كافر أصلي، ينتمي لأي مله غير الإسلام- بلا دين- مرتد) وهذا لابد منه ومعلوم بالاستقراء ومقتضى الشرع والعقل.

* * *

فصل

في بيان خطورة التكفير والغلو فيه

س٧٠ : هل أفهم من الكلام السابق أنني أحدد بما أرى نوع الشخص الذي أتعامل معه من كونه مسلمًا أو كافرًا أصليًا أو مرتدًا أو غير ذلك من كونه مستور الحال أو فاسقًا؟

ج: التكفير والتفسيق من الأحكام الشرعية فلا ينبغي إطلاقه على أحد بمجرد الهوى

أو بقياس عقلي، أو نحو ذلك، بل هما حق لله ورسوله، فلا يُطْلَق أحد هذين الوصفين على أحد إلا بعد استحقاقه له، وإلى هذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «فإن الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله، ليس لأحد في هذا حُكْم، وإنما على الناس إيجَاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حَرَّمَه الله ورسوله»(١).

وقد فرق- رحمه الله- بين الأمور التي تُعْرَف عن طريق الشرع والأمور التي تُعْرَف بالعقل فجعل التكفير من الأحكام الشرعية التي لا تثبت إلا بدليل شرعي من الكتاب أو من السنة، فقال: «فإن الكفر والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل، فالكافر مَنْ جَعَلَهُ الله ورسوله مؤمنًا ومسلمًا، والعَدْل من جَعَلَه الله ورسوله عَدْلاً، والمعصوم الدم من جَعَلَه الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها... والحلال ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع، وأما الأمور التي يَسْتَقِل بها العقل فمثل الأمور الطبيعية، مثل كَوْن هذا المرض ينفع فيه الدواء الفلاني، فإن مثل هذا يُعلم بالتجربة والقياس وتقليد الأطباء الذين علموا ذلك بقياس أو تجربة، وكذلك مسائل الحساب والهندسة ونحو ذلك، هذا مما يُعلم بالعقل وكذلك مسألة الجوهر الفرد(٢) وتَمَاثُل الأجسام أو اختلافها، وجواز بقاء الأعراض(٣) وامتناع بقائها، فهذه ونحوها تعلم بالعقل(٤). وبيّن رحمه الله أن ما يعرف بنظر العقل لا يكَفْرُ الإنسان بمخالفته، بل ولا يكفر بجحده ولا إنكاره، وإنما يكفر بمخالفة الرسول ﷺ وهو عالم بذلك، فقال: «والكفر هو من الأحكام الشرعية، وليس كل مَنْ خالف شيئًا

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٤٥.

(٢) هو شيء دقيق جداً لا يقبل التجزئة لا بالوهم ولا بالفعل. مقاصد الفلاسفة ١٤٧.

(٣) العرض: القائم بالمتحيز. انظر مصارعة الفلاسفة ٢٠.

(٤) منهاج السنة ٥/ ٩٢، ٩٣.

عُلم بنظر العقل يكون كافرًا ولو قدر أنه جحد بعض صرائح العقول لم يُحكم بكفره حتى يكون قوله كفرًا في الشريعة، وأما من خالف ما علم أن الرسول جاء به فهو كافر بلا نزاع»[1].

وقال أيضًا: «وإذا كان كذلك فكَوْن الرجل مؤمنًا وكافرًا وعدلاً وفاسقًا هو من المسائل الشرعية لا من المسائل العقلية، فكيف يكون من خالف ما جاء به الرسول ليس كافرًا، ومن خالف ما ادعى غيره أنه معلوم بعقله كافرًا؟ وهل يكفر أحد بالخطأ من مسائل الحساب والطب ودقيق الكلام؟»[2].

س٧١: هل معنى هذا أن التكفير أمر عظيم وبالتالي فمن السلامة تركه والبعد عنه أم ماذا؟

ج: لاشك أن التكفير أمر عظيم والإفراط في التكفير غُلُو يشابه غلو الخوارج بحيث يُجعل من ليس بكافر كافرًا وكذلك التفريط فيه أمر خطير يعطل كثيرًا من أمور الدين كما وقعت في ذلك المرجئة، وقد شدد العلماء في أمر التكفير وقال ابن تيمية رحمه الله: وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يُزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة. اهـ[3].

ويقول أيضًا: ولا ينبغي أن يظن أن التكفير ونفيه ينبغي أن يدرك قطعًا في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع إلي إباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار فمأخَذُهُ كمأْخَذِ سائر الأحكام الشرعية فتارة يُدرك بيقين وتارة يُدرك بظن غالب وتارة يتردد فيه، ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولى والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل. اهـ.

وفي الحديث عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إذا كَفَّرَ الرجل أخاهُ فقد بَاءَ بها**

---

(٤) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٢٥.

(٢) منهاج السنة ٥/ ٩٣.

(٣) الفتاوى ج١٢ ص٤٦٦.

أحدهما»[١]، وفي الرواية الأخرى: «أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد بَاءَ بها أحدُهُما، إن كان كما قال وإلا رَجَعَتْ عليه»[١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»[٢].

قال ابن حجر في الشرح: وهذا يقتضى أن مَنْ قال لآخر أنت فاسق أو قال له أنت كافر فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور، وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صَدَق فيما قال إن قَصَد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز، وإن قصَد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز؛ لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى، فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف، لأنه قد يكون سببًا لإصراره وإغوائه على ذلك الفعل، كما في طبع كثير من الناس من الأنفة، ولاسيما إن كان الآمر دون المأمور في المنزلة. اهـ.

* * *

فصل

في بيان الردة وأحكامها

س٧٢: ما الفارق بين الكافر الأصلي والمرتد؟ وما الرِّدة؟

ج: **الكافر الأصلي**: هو مَنْ وُلِد من أبوين غير مسلمين، ونشأ على ملتهم، واستمر على ذلك، ولم يتحول إلى الإسلام، ويدخل في ذلك كل مَنْ دان بدينٍ غير الإسلام، أو كان بِلا دين، **أما المرتد**: فهو مَنْ دَانَ بالإسلام ولو لَحظَة وثَبَتَ له حكم الإسلام ثم تحول عنه بكفر صريح يثبت له به حكم الكفر بعد الإسلام وتُسمى هذا الحال رِدةً. **تعريف الرِّدة: الرِّدة لغةً**: التحول: تقول: ارتد، وارتد عنه بمعنى تَحَول[٢].

---

(١) البخاري كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعان، وباب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال.

(٢) انظر لسان العرب ٣/ ١٧٢.

وشرعًا: الرجوع عن الإسلام إلى الكفر[١].

وعَرَّفَها بعضهم بأنها: كُفْر المسلم بقولٍ صَرِيح أو بلفظ يقتضيه أو بفعل يتضمنُه، كإلقاء مصحف بقَذَر أو شَدِّ زنار، أو نحو ذلك[٢].

س٧٣: ما عقوبة المرتد؟ وما الأحكام المتعلقة بالرِّدة؟

ج: المرتد يُقْتَل وهذا بنص كلام الرسول ﷺ وبإجماع الصحابة رضي الله عنهم ويكون قتله بضرب عنقه بالسيف لأنه آلَة القتل، ولا يُحْرَق بالنار[٣] ولا يُشْنَق أو نحو ذلك من طُرُق القتل، والمرتد لا يُقَر على ردته لا بجزية ولا بغيرها ولو ارتد أهل مدينة لا يقبل منهم إلا التوبة أو قتلهم ولا يُسْتَرقُّون ولا يُسبَوْن، ولو كانوا جماعة مُمْتَنِعة قُوتلوا فإن أُخِذُوا قُتِلوا[٤].

استتابة المرتد

واتفق العلماء على استتابة المرتد (الاستتابة: المطالبة بالتوبة والرجوع للإسلام)، واختلفوا في مدة الاستتابة ما بين المُطالَبة مرة في وقت واحد، وما بين ثلاثة أيام من يوم ثبوت الردة، وقال أبو حنيفة: المرتد إذا طَلَب أن يُؤَجَّل أُجِّلَ ثلاثة[٥].

كيف تكون توبة المرتد:

تكون توبة المرتد بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واختلفوا في التبري من كل دين خَالَف الإسلام، هل هو واجب أو مستحب؟ وذكر الشافعي أنه يختلف باختلاف الأحوال، فمن كان من عَبَدة الأوثان ومُنْكِري النُّبُوات فالتبري مُسْتَحَب في حقه، ومن كان من أهل الكتاب فالتبري واجب في حقه لا يصح الإسلام إلا به، فإذا حَصل ذلك يُنْظَر في رِدته:

---

(١) حكم المرتد ٢٥، المغني ١٢/ ٢٦٤.
(٢) انظر شرح منح الجليل ٤/ ٤٦١.
(٣) حكم المرتد ٢٧، المغني ١٢/ ٢٦٤، ٢٦٩.
(٤) انظر المبسوط ١٠/ ١١٦، المغني ١٢/ ٢٨٢، المحرر ٢/ ١٦٩، شرح منح الجليل ٤/ ٤٦٦.
(٥) المراجع السابقة، وانظر الكافي ٢٢١.

- فإن كانت بجحود الإسلام اكتفى بما ذَكَرْنَا.
- وإن كانت يقـوله إن رسالة النبي ﷺ للعرب خـاصة، لم يُحْكم بإسلامـه حتى يقول: محمد رسول الله إلى جميع الخلق.
- وإن كانت بجحد عبادة من العبادات، كالصلاة والصيام مثلاً لم تَزُل عنه الردة حتى يقر بما صار به مرتداً، بالإضافة إلى النطق بالشهادتين.
- وإن كانت ردته باستحـلال شيء من المحرمات كالزنى والخمر ونحـوها كانت توبته بالإقرار بتحريم ذلك، بعد النطق بالشهادتين.

ثم يجبر على قبول سائر الأحكام، فإن أبى فهو مرتد[١].

ما تُبْطله الردة:

تُسْقِط الردة عن المرتد الصـلاة والصيام والزكاة والحج التي فعـلها قبل ارتداده أو في مدته، بمعنى إبطال ثوابهـا، كما يسقط من ذمـته وجوب قضاء مـا لم يفعله. إلا الحج فيجب عليه فـعله بعد رجوعه إلى الإسلام؛ لأن وقتـه العمر كله، وإلا الصلاة التي رجع للإسلام وقد بقى من وقـتها ما يسع ركعـة، فيلزمه فعلها ولو خرج وقـتها كمـا تُسْقِط الردة نذراً نذره المـرتد على نفسـه قبل ارتداده، فـلا يلزمه الوفاء بـه بعد رجوعه للإسلام، كمـا تُسْقِط يميناً حلفها قبل ارتداده فإذا حنث فيـها لا يُكَفِّرها، كما تسقط الردة إحـصان المرتد الذي حـصل في حال إسلامـه، إلا إذا عرف أنه ارتد من أجل إزالة الإحصان فَيُعَامَل بنَقِيض قَصْدِه[٢].

كمـا تُبْطِل نكاحه مع زوجـته الذي كان قـبل الردة، سواء كـانت الردة من أحد الطرفين أم منهما معاً.

وهل يتوقف إبطال النكاح على انقضاء العِـدة؟ خلاف بين العلماء فذهب المالكية إلى أن إبطال النكاح لا يكون موقوفـاً على اجتماع إسلام الزوجين في العِـدة، وفرقة

(١) انظر حكم المرتد ١٣٣- ١٣٦، المحرر في الفقه ٢/ ١٦٨، روضة الطالبين ١٠/ ٨٢، ٨٣.
(٢) انظر شرح منح الجليل ٤/ ٤٧٢، ٤٧٣.

المرتد لزوجته عند الإمام مالك على روايتين: إحداهما أنها فسخ بدون طلاق، والأخرى أنها طلاق بائن[١].

أما الشافعي فذهب إلى أنه لا تقع الفرقة بين المرتد وبين زوجته حتى تمضي عدة الزوجة قبل أن يتوب ويرجع إلى الإسلام فإن انقضت عدتها قبل أن يتوب فقد بانت منه، ولا سبيل له عليها، وبينونتها منه فسخ بلا طلاق. وإن كانت الردة قبل الدخول بها فإنها تبِين منه؛ لأنها لا عِدة عليها[٢].

س٧٤ : ما حكم زوجة المرتد وولده وماله؟

ج: زوجة المرتد تبين منه بالردة إن كانت غير مدخول بها ويُفَرَّق بينها وبينه إذا كانت مدخولاً بها، ولا يُعد ذلك التفريق طلاقًا على الصحيح كما عرفنا في السؤال السابق، ثم إنه إذا تاب المرتد ورجع للإسلام رجعت له زوجته دون عقد جديد ولو بعد سنين مالم تكن تزوجت بعد انقضاء العِدة المترتبة على الفَسْخ بالردة لأن الردة تعتبر إفسادًا لشرط من شروط صحة النكاح وهو إسلام الزوج، فإذا فسد الشرط فسد النكاح فإن تاب فيصح الشرط ويعود النكاح ولا يُعد طلاقًا.

أما وَلَد المرتد فلا يلحق بأبيه كما هو الحال في ولد الكافر الأصلي حيث إن الولد يلحق بأبويه، فولد النصارى واليهود يلحق بهم، وولد المسلم يلحق به، وولد المرتد هو لاحق أصلاً بوالده حال إسلامه أما في حالة الرِّدة فقد قال العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة: إذا قتل المرتد وله ولد صغير بقي ولده حال كَوْنه مسلمًا أي محكومًا بإسلامه ولا يَتْبَع أبَاهُ في الدين الذي ارتد إليه لعدم إقراره عليه، ويجبر على الإسلام إن تدين بغيره، سواء ولد قبل ارتداد أبيه أو بعده ولا يُسْتَرقون فإن أَظْهَرَ الكفر بعد بلوغه أُجْرِي عليه حُكم الردة[٣].

---

(١) انظر الكافي: ٢٢١. (٢) انظر الأم ٦/ ١٧٣.

(٣) انظر الكافي ٢٢١، شرح منح الجليل ٤/ ٤٦٦، الأم ٦/ ١٧٢، وحكم المرتد ٩٩- ١١٠، روض الطالبين ١٠/ ٧٧، والمغني ١٢/ ٢٨٠- ٢٨٢.

مال المرتد:

المرتد لا يَرثه أولياؤه الوارثون فمن مات على الردة- والعياذ بالله- فقد اتفق العلماء على أن ماله فيء لبيت مال المسلمين واختلفوا فيما يتعلق بالنفقة من هذا المال على الزوجة والولد وما يلزم النفقة عليهم فقال المالكية: يحجر الإمام على المرتد بمجرد ردته، ويحول بينه وبين ماله ويمنعه من التصرف، ويطعم منه بقدر الحاجة زمن استتابته، ولا ينفق منه على زوجته ولا على أولاده زمنها، فإن مات على ردته فماله فيء وإن تاب المرتد برجوعه للإسلام خلى بينه وبين ماله على المشهور ويُمكَّن من التصرف فيه كما كان قبل ارتداده(١).

وقالوا أيضًا: إن مال الرقيق القن أو ذي الشائبة المقتول بردته لسيده بالمِلْك لا بالميراث لأن الرقيق لا يَمْلِك*.

وقال الشافعي: إذا ارتد الرجل وكان غائبًا أو هاربًا بيعَ ماله، إلا مالا سبيل لبيعه كأمهات الأولاد ونحوه، وأُنفق على زوجته وأولاده ومن يلزمه النفقة عليه من ماله، ونفقة الزوجة حتى تنقضي عدتها فإن رجع وتاب رُد عليه ماله إلا ما بِيع منه فلا سبيل إليه(٢). اهـ.

وقال الحنابلة بذلك إلا أنهم قالوا: الأولى ألا يؤجر عقاره وعبيده وإماءه إن كان حاضرًا لأن المدة قصيرة(٣).

أما الأحناف فقد شذوا وقالوا: إن ماله لورثته المسلمين على تفصيل مبسوط في كتب الفقه(٤).

* * *

(١) انظر شرح منح الجليل ٤/ ٤٦٩.

* الكلام هنا متعلق بردة العبد أو الرقيق.

(٢) الأم ٦/ ١٧٤.

(٣) المغني ١٢/ ٢٧٣.

(٤) انظر المبسوط ١٠/ ١٠٠.

فصل

في بيان ما يصير به العبد مرتداً

س٧٥: اذكر الأمور التي يصير بها العبد كافراً مرتدًّا؟

ج: هذا الباب من الأبواب التي وقع فيها اختلافٌ واسع بين أهل السنة بعضهم البعض وبين أهل السنة وغيرهم من أهل الأهواء والبدع والذي يعنينا هنا هو معرفة الحق بقصد الاهتداء واتباع طريق أهل السنة والجماعة دون إفراط أو تفريط ومن هذا المنطلق نذكر في هذا المقام جملة من الأمور المُكَفِّرة سواء كانت عَقدية[١] أو قولية أو عملية وهو من باب التنبيه على أخطر ما يمكن أن يصيب دين العبد وهو المعروف في كتب الفقه وغيرها بنواقض الإسلام أو أبواب ومسائل الردة ومن هذه الأمور:

بعض المكفرات العقدية:

١- **الشك في الحق**: وهذا يعني الشك في الله تعالى أو في الكتاب أو في الرسول ﷺ أو في اليوم الآخر أو في البعث بعد الموت... وهكذا.

ويمكن أن يقال عن هذا النوع إجمالاً: الشك في حكم من أحكام الله عز وجل أو خبر من أخباره[٢].

يقول د. محمد بن عبد الله الوهيبي: ذكر علماء السنة أن من شروط لا إله إلا الله (اليقين المنافي للشك) واستدلوا لذلك بنصوص كثيرة منها قوله ﷺ: «...**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**»[٣]، وقوله ﷺ لأبي هريرة: «**اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله الا الله مُستَيقِنًا بها قلبه فبشره بالجنة**»[٤]. قال الشيخ حافظ

(٤) أحكام الردة لا تُجرى إلا على الأقوال والأعمال الكفرية أما الكفر العقدي فما لم يظهره صاحبه أو يبين في كلامه فهو في ظاهر الإسلام كشأن المنافقين الذين يبطنون الكفر ويُظهرون الإسلام.

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية، د. محمد بن عبد الله الوهيبي- دار المسلم- الرياض.

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان، مسلم بشرح النووي ١/ ٢٢٤.

(٤) المرجع السابق ١/ ٢٣٧.

الحكمي- رحمه الله- موضحًا هذا الشرط «بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١]. فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لا يرتابون[٢] أي لم يشكُّوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين- والعياذ بالله- الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٣]. ثم ذكر الحديثين السابقين وعلق عليهما قائلاً: «فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنًا بها قلبه غير شاك فيها وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط». اهـ[٤].

ويدخل في ذلك مَنْ شَكَّ في كُفْرِ الكافرِ المُتَفَقِ على كفره أو المنصوص عليه أو المُجْمَعِ عليه، أو من ثَبَتَ كُفْره يقينًا.

قال ابن تيمية في رده على أهل الحلول والإلحاد[٥]: وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى ولهذا يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه ولهذا يُلَبِّسون على من لم يفهمه، فهذا كله كفر باطنًا وظاهرًا بإجماع كل مسلم، ومَنْ شَكَ في كُفْر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كُفْرِ اليهود والنصارى والمشركين. اهـ.

وذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: الثالث: مَنْ لم يُكَفِّر المشركين أو شَكَّ في كُفْرِهم أو صَحَّحَ مذهبهم كَفَرَ إجْمَاعًا. اهـ[٦].

تنبيه:

لا يقع هذا الكلام على من امتنع عن تكفير المعين ممن ثبت له الإسلام ولم يثبت

(١) الحجرات: ١٥.
(٢) الريب والريبة: الشك والظن.
(٣) التوبة: ٤٥.
(٤) معارج القبول ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.
(٥) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٨.
(٦) مجموعة محمد بن عبد الوهاب ص٢١٣.

كفره بالنص أو الإجماع أو بما يفيد اليقين بكفره لأن الامتناع عن تكفير كافر لم يثبت كفره بما ذكرنا، أولَى من تكفير مسلم، فالقاعدة المذكورة في كلام أهل العلم في مثل كفر اليهود والنصارى ومَنْ ثَبت كفره بيقين، أمَّا مَنْ لم يَبْلُغ ذلك لا تتحقق فيه القاعدة حتى وإن كان مخطئًا في شكِّه في كُفر مَنْ كَفَر. فليتنبه لذلك. ولذلك لم يَذْكُر العلماء مثل هذه القاعدة إلا في المُكَفِّرات اليقينية البينة التي لا اختلاف فيها والمُجْمَع عليها، كَسَبِّ الرسول ﷺ.

قال محمد بن سُحْنُون: أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ المُتَنَقِّصَ له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحُكْمُه عند الأمة القتل، ومن شَكَّ في كُفْرِه وعذابه كَفَرَ. اهـ[1].

وهنا يثور تساؤل وهو: ما الفارق بين الشك والوسوسة؟ قال ابن تيمية: الوسوسة: هي مما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان، فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهته صريح الإيمان. اهـ[2].

وهذا بخلاف الشك فإنه إخلال بشرط العلم الذي يتحقق به اليقين الذي هو شرط في صحة الدين، يقول ابن القيم رحمه الله: فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره... ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط. اهـ[3].

٢- من المكفرات العقدية: استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة والاستحلال أمر قلبي مَحْض يَخْتَص بمخالفة النواهي باستحلالها والاستحلال معناه: أن يعتقد في المحرمات أن الله لم يُحَرِّمْها أو أنها مُبَاحة، ولا يكون الاستحلال إلا بعد معرفة حكم الشرع بالتحريم، والاستحلال كفر وإن لم يفعل ما استحله كمن

---

(١) الصارم المسلول: ص٥١٣ طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) الضياء الشارق ص٣٧٤.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤١٣.

يعتقد حِل الخمر بعد ثُبوت تحـريمها ولو لم يشربها قال الطحاوي رحمه الله: ولا نُكَفِّر أحدا من أهل القبلة بـذَنْب ما لم يَسْتَحِله. اهـ[١]، ونقل البغـوي الإجماع على عدم تكفـير فاعل الكبائر إذا لم يسـتحِل. اهـ[٢]. وقال الـقاضي عِـياض: وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استَحل القتل أو شرب الخمر أو الزنى مما حرم اللـه بعد علمه بتـحريمه كـأصحـاب الإباحة من القرامطـة وبعض غلاة المتصـوفة. اهـ[٣]. وقال النووي: من استحل محرمًا بالإجـماع كالخمر والميسر والزنى واللواط أو حَرَّم حلالاً فإن هذا كُفْر. اهـ[٤].

٣- **من المُكَفِّرات العقدية: الجحود والتكذيب**: قال الإمام ابن بطة: فكل من ترك شيئًا من الفرائض التي فرضَها الله في كتابه أو أكّدَها رسول الله ﷺ في سنته على سبيل الجحود لها والتكذيب بهـا فهو كَافِر بيِّن الكُفْر. اهـ[٥]. ويقول ابن الـقيم رحمه الله: وكفر الجحود نوعان: كفـر مطلق عام، وكفر مقيد خاص، فالمطلق: أن يجحد جملةً ما أنزله الله، وإرساله الرسول، والخاص المقيد: أن يجحد فرضًا من فروض الإسلام أو تحريم مُحَرَّم من محرماته، أو صفةً وَصَفَ الله بها نفسه، أو خبراً أخبـر الله به، عـمدًا أو تقـديمًا لقـولِ مَنْ خَـالَفَه عليـه لغـرض من الأغراض. اهـ[٦].

٤- **من النواقض العـقدية**: اعتقاد أن بعـض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ: اشتهر هذا المعتقد عند غلاة الصوفية والباطنية واحتجوا جهلاً وزوراً وبطلانًا بقوله تعـالى: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾[٧]، ومن المعلوم أن هذا ضَلالٌ بعـيدٌ وكفـرٌ بواحٌ[٨]. قال القاضي عياض رحمـه الله: أجمع المسلمون على تكفير من

---

(١) الطحاوية ص٣٥٥. (٢) شرح السنة ١/ ١٠٣.
(٣) الشفا ٢/ ١٠٧٣. (٤) مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٠.
(٥) الإبانة لابن بطة ٢/ ٧٦٤. (٦) مدارج السالكين ١/ ٣٦٧. (٧) الحجر: ٩٩.
(٨) راجع كلام ابن حزم في الفصل ٤/ ٢٢٦ وكذا ابن تيمية في الفتاوى ١١/ ٤٠٠- ٤٢٢، وتلبيس إبليس ص٤٩٦.

قال من الخوارج: (إن الصلاة طرفي النهار)، وقول بعض المتصوفة: إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم، ورفع عهد بعض الشرائع عنهم. اهـ[١].

٥- **من النواقض العقدية**: اعتقاد الشريك في الربوبية والإلهية، والشرك في الربوبية يعني أن يوصف أحد من الخلق بأي صفة من صفات الله عز وجل الذاتية أو الفعلية المختصة به، كالخلق أو الرزق، أو علم الغيب أو التصرف في الكون مع إثبات ذلك لله عز وجل، ومن أبرز صور هذا الشرك: اعتقاد أن غير الله يعلم الغيب، واعتقاد أن غير الله ينفع ويضر وهو باب واسع من الشرك في الربوبية يجر إلى باب أوسع في شرك الإلهية الذي هو عبادة غير الله، أو اتخاذ وسائط بين العبد وربه، أو الافتراء بشفعاء على الله تعالى... وغير ذلك مما يقع فيه الضالون بدعوى طَلَب النفع أو دَفْع الضُّر من الشركاء أو من الله بواسطتهم- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- فيستغيثون بهم ويدعونهم دعاء المسألة والطلب[٢]، ويلوذون بهم ويناجونهم بالغيب في السر والعلن، وقد يذبحون لهم ويقربون لهم القرابين، أو يجعلون له ولَدًا كما فعل النصارى وطوائف من اليهود، أو يَنصبون من أنفسهم آلهة كما قال فرعون: ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي** ﴾[٣] وقد يجعلون له شريكًا ويعتقدون ذلك وقد يكون هذا الشريك:

أ- **من الموتى**: قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾[٤] وهؤلاء كانوا قومًا صالحين، فلما ماتوا جاء من بعدهم فعبدوهم وهكذا عبدت العرب اللات وهُبل ومناة، وهي رموز لموتى، وعبدت

---

(١) الشفا ٢/ ١٠٧٤.

(٢) الدعاء نوعان: دعاء ثناء وتسبيح وتحميد وتمجيد كقولك سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك... ونحوه، والثاني: دعاء المسألة والطلب: كقولك: رب اغفر لي وارحمني واجبرني وعافني واعف عني، وكقولك: اشفني وارزقني واسترني وارحمني.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) نوح: ٢٣.

اليهـود عزيرًا، وعَبَـد الصوفيـة الضالون في مـصر: الحسين والبـدوي والرفاعي والشاذلي والقنائي. . . وغيرهم.

ب- من الأحياء: قال تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾[(١)]، وهذه العبادة تكون بإعطاء حـق التشريع والتحليل والتحـريم لغير الله، فكل من أطاع أحدًا في حلال حرمه الله، أو في حرام أحله الله وهو يعلم فقد عَبَدَه.

جـ- الجـن: قال تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[(٢)] وهذا يكون بالاستغـاثة بهم وطاعتهم في عبـادة غير الله والاستعـاذة بهم قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾[(٣)].

د- الهوى: قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ**﴾[(٤)]، كان الرجل من المشـركين يعبـد الصنم فـإذا رأى أحسن منه رمـاه واتخذ أحـسن منه وعبده، وهذا يدل على أنه لم يكن لهم حجـة في عبادة الأصنام إلا اتباع الهوى وتقليد الآباء.

هـ- الحيوان: فال تعالى: ﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ**﴾[(٥)]، عبد الفراعنة قديمًا البقر وغيرها من الحيوانات وعبد بنو إسرائيل العجل ويعبد الهندوس البقر، وفي تايلاند طوائف تعبد الفأر نسأل الله العافية والهداية.

و- الكواكب: فقد عَبَد أهل سبأ الشمس وكانت طوائف من مشركى العرب تعبد الكواكب وكانوا يعبدون الشعرى[(٦)] ولذلك قال لهم المولى سبحانه: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ**﴾[(٧)].

ى- النار: كالمجوس، والأحجار كعبدة الأوثان والأصنام، والأشجار حتى الدرهم والدينار والخميـصة والقطيفة وغير ذلك. . . ولا زال الشـيطان يأمر أهل الضلال من اتباعه بإتخاذ الشريك مع الله من أي شيء كان، وصدق ربنا إذ يقول: ﴿**أَلَمْ**

---

(٤) التوبة: ٣١. (٢) سبأ: ٤١. (٣) الجن: ٦.

(٤) الجاثية: ٢٣. (٥) طه: ٨٨. (٦) كوكب من الكواكب. (٧) النجم: ٤٩.

أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾(١).

٦- **من النواقض العقدية النفاق الإعتقادي:** (النفاق الأكبر) وسيأتي له تفصيل في الكلام على النفاق وأنواعه:

٧- **التولي والإعراض عن حكم الله ورسوله:** قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً﴾(٢)، ويقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾(٣) وهذا النوع يسمى كفر الإعراض(٤).

٨- **من النواقض العقدية المسرة بانخفاض دين الإسلام والكراهية لانتصاره:** قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(٥).

٩- **من النواقض العقدية بغض أو كراهية بعض ما جاء به الرسول ﷺ:** قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾(٧).

تنبيه: ينبغي التنبيه بين الكُرْه الاعتقادي والنفور الطَّبْعي، قال الراغب رحمه الله: الكُره: المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكره: ما ينالُه من ذاته وهو يَعافُه وذلك على ضربين: أحدهما: ما يُعاف من حيث الطبع، والثاني: ما يُعاف من حيث العقل أو الشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد إني أريده وأكرهه بمعنى أني أريده من حيث الطبع وأكرهه من

---

(٤) يس: ٦٠. (٢) النساء: ٦٠، ٦١. (٣) النور: ٤٧، ٤٨.

(٤) وهو موضوع يحتاج إلى تفصيل موسع لعل الله ييسر بجعل بحث منفصل فيه إن شاء الله.

(٥) التوبة: ٥٠. (٦) محمد: ٩. (٧) المؤمنون: ٧٠.

حيث الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع، وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾[١] أي تكرهونه من حيث الطبع. اهـ[٢]. وقال البغوي في الآية: وهو كره لكم، أي شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى. اهـ[٣].

١٠- **من النواقض العقدية كفر الإباء والاستكبار والامتناع:** قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[٤] قال شيخ الإسلام: وكُفْر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم، فإن إبليس لم يخبره أحد بخبر، بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر، وكان من الكافرين، فكفره بالإباء والاستكبار وما يتبع ذلك، لا لأجل تكذيب، وكذلك فرعون وقومه جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوا. اهـ[٥]. وقال ابن القيم رحمه الله: وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله، ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالآباء والاستكبار، ومن هذا كُفْر من عَرَف صدق الرسول ﷺ، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباءً واستكبارًا، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل. اهـ[٦].

١١- **من النواقض العقدية محبة غير الله:** قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٧]، يقول ابن كثير: يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادًا، أي أمثالاً ونظراء، يعبدونهم معه ويُحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضِد له، ولانِد له، ولا شَريك معه، يقول ابن القيم: الشرك بالله من المحبة والتعظيم بأن يحب مخلوقًا كما يحب الله، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله،

---

(١) البقرة: ٢١٦. (٢) المفردات ٤٢٩. (٣) تفسير البغوي ١/ ٢٤٦.
(٤) البقرة: ٣٤. (٥) الإيمان الأوسط ص٧٦، الفتاوى لابن تيمية ٢٠/ ٩٧.
(٦) مدارج السالكين ١/ ٣٦٦. (٧) البقرة: ١٦٥.

وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ...﴾ وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ومعلوم أنهم ما سووهـم به سبحانه في الخلق، والرزق، والإمـاتة، والإحـياء، والملك، والقـدرة، وإنما سـووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل اهـ[2].

١٢- **من النواقض العقدية شرك النية والقصد والإرادة:** قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى أنا أغنى الشركـاء عن الشرك، من عـمل عملاً أشـرك فيه مـعي غيـري تركته وشـركه**»[5] والمراد بالإرادة والقصد والنية: ما يكـون من المحبة، والخوف، والرجاء، والطمع في الأجر، والهـيبـة والإجلال، وكل ما يتـعلق بإرادة القلب، ومقـصود العـبد بالعمل ومن العمل، وبالجملة فهو إرادة وقَـصْد رضا الله والجنة طعمًا، ورجاءً، وتعلقًا، والخوف من سخطه والـنار، رهبةً واتقاءً، وفي الحديث: «**إنما الأعـمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[6].

فـهذه جـملة من المكفرات ونواقض الإيمان الاعـتـقادية، التي مَنْ تَلَبَّس بهـا أو بواحدة منها فقد نقض إيمانه وصـار كافرًا لكن لا يعتبر مـرتدًّا إلا عند نفسـه أما عند غيره فـلابد من إظهار ذلك بقول أو عمل حتى يحكم عليـه بحكم الردة وتجرى عليه أحكام المرتد.

---

(١) الشعراء: ٩٧، ٩٨. (٢) الجواب الكافي ١٩٥.

(٣) الكهف: ١١٠. (٤) هود: ١٥، ١٦.

(٥) مسلم كتاب الزهد والرقاق، باب: من أشرك في عمله غير الله: ٢٤٨٥.

(٦) رواه البخاري.

بعض المكفرات القولية*:

١- **إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة:** المعلوم من الدين بالضرورة هو: ما لا يسع أحد جهله في زمان أو مكان علم فيه الأمر من الدين، ولا ينكر هذا إلا جاهل مفرط في الجهل بدين الإسلام، أو كافر مشاق لله ورسوله من بعد ما تَبَيَّنَ له الهدى، ويَتبع غير سبيل المؤمنين، فالجاهل معذور، والمعاند لله ورسوله كافر، والمعلوم من الدين بالضرورة قد يجهله مَنْ نشأ ببادية بعيدة فَتَعَذَّر عليه معرفة الحق، أو حديث عهد بالإسلام، فَمَنْ أنكَرَ معلومة ضرورية من دين الإسلام فقد كَفَرَ وحكى العلماء على ذلك إجماع أهل العلم(١).

٢- **سب الله أو الاستهزاء به أو بآياته:** ساب الله تعالى كافر مرتد، يجب قتله بالإجماع، وحاله أسوأ من حال الكافر بغير سب، فإن الكافر يعظم الرب ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس استهزاءً بالله ولا مَسَبَّةً له(٢).

٣- **سب أحد الأنبياء أو الاستهزاء به أو تكفيره:** مَنْ كَفَرَ بنَبيٍّ معلوم النبوة أو سب نبيًّا مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في الكتاب والسنة أو موصوفًا بالنبوة- مثل أن يُذكر في حديث أن نبيًّا فعل كذا، أو قال كذا، فَيَسُب ذلك القائل أو الفاعل، مع العلم بأنه نَبي وإن لم يعلم مَنْ هو، أو سَبَّ نوع الأنبياء على الإطلاق، أو استهزأ بهم، أو عابهم، أو تنقصهم أو شتمهم، أو عاداهم، أو عَانَدَهُم، أو كَذَّبَهُم، أو نحو ذلك، فهو كافر مرتد، مُبَاح الدم بإجماع الأئمة. اهـ(٣).

٤- **قذف إحدى زوجات النبي ﷺ** التي ظلت زوجته حتى مات ﷺ أو ماتت

* راجع رسالة كلمات تخالف العقيدة من جمعي وترتيبي.

(١) راجع الفتاوى ج١ ص١٠٦، ج٦ ص٦١، ج١٠ ٤٣٤، ٤٣٥. وشرح مسلم للنووي كتاب الإيمان.

(٢) انظر الصارم المسلول ص٥٤٦، أنصح بقراءة هذا الكتاب لأنه سفر جامع ومبحث تفصيلي في هذه المسألة العظيمة والخطيرة.

(٣) انظر الصارم المسلول ص٥٦٥، والشفا للقاضي عياض ص٩٣٣.

رضي الله عنها؛ لأن ذلك من إيذاء النبي ﷺ وإيذاؤه كُفْر، وكذلك هو تكذيب بمن شَهِدَ الله لهم بالطهارة.

٥- **الطعن الصريح في القرآن أو تكذيبه،** أو وَصْفُه بما لا يليق مما فيه إزراء وامتهان، وكذا في السنة الصحيحة وأحكام الشرع الثابتة.

٦- **تصحيح مذهب الكافرين،** والدفاع عنهم سواء كان من دين أهل الكتاب أو المذاهب الكفرية، الدينية أو الدنيوية، كالشيوعية والعلمانية... وما شابه.

٧- **السخَط على القَدَر** بالكلام الذي فيه اعتراض على الله وتَسَخّط على قدره، وتوجيه اللوم إلى الرب والطعن فيه- و العياذ بالله-.

٨- **ادعاء علم الغيب،** وادعاء عِلم ما في النفوس، وما يجري في الخَاطِر.

بعض المكفرات العملية:

١- **جَعْل وسائط بين العبد وبين الله،** يدعوها ويعبدها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[1] وهذه الآية تقرر الأصل الذي لا يدخل العبد دين الإسلام إلا إذا أقامه وهو التوحيد القائم على عبادة الله وحده دون ما سواه، فلا طاغوت يُعْبَد، ولا واسطة تُتَّخَذ، ولا ندَّ، ولا مثيل يُجعل له سبحانه، قال تعالى: ﴿**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾[3]. وفي الصحيحين: عن ابن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك...**»[4]، ووَصَفَ اللهُ حال المُتخذين بينهم وبينه وسائط بقوله: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾[5]، ثم بيّن لهم ما في ذلك من خيبة الأمل، وضلال السبيل وذهاب السعي، وسراب المأمول والمطلوب بقوله: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا**

(١) النحل: ٣٦. (٢) البقرة: ٢٢. (٣) البقرة: ٦٥.

(٤) البخاري كتاب التوحيد رقم ٩٢٧٠. (٥) الزمر: ٣.

يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴾[١]، واتخاذ الوسائط يكون بالغلو في حي أو ميت، أو إنس أو جن بحيث يجعل فيه نوعٌ من الإلهية أو من خصائص الربوبية، مثل أن يطلب منهم الغوث، أو النصر، أو الرزق، أو يعبده بالسجود له، أو يدعوهم من دون الله، كأن يقول «يا سيدي فلان اغفر لي، أو ارحمني، أو أَجِرْني، أو توكلت عليك، أو أنت حسبي، أو أنت سيدي، أو أنت غوثي، أو أنت عوني» أو نحو ذلك. . . أو يدعى أنهم وسائط بين الله وخلقه يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن مدد الله لخلقه ورزقه لهم بتوسطهم، فهذا كله وأمثاله كُفْر صريح- والعياذ بالله- وقد يفعل ذلك مع القبور سواء كان قبر النبي ﷺ أو صالح أو شيخ أو نحو ذلك، ومعلوم أن هذا هو أصل عبادة الأوثان، كما قال تعالى: **﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾**[٢]، فعلى المؤمن أن يتجنب ذلك ويتشدد فيه ويسد كل ذريعة إلى اتخاذ واسطة، فليس بين العبد وربه وسائط. وليحذر كل مؤمن من الغُلو في القبور[٣] فإنها تَجُر إلى الشرك لا محالة، ولا ينبغي أن يُعْبَد الله في مكان يُعبد فيه غيرالله حتى ولو كان مسجداً، وقد اختلف العلماء في حكم الصلاة في المساجد التي بُنيت على قبور، ولعل الصحيح هو بُطلان الصلاة فيها.

٢- ترك أركان الإسلام بالكلية: اتفق المسلمون على أن مَنْ لم يأت بالشهادتين فهو كافر، كما أجمعوا على أن من جحد وجوب شيء من الأركان الأربعة فهو كافر، واختلفوا في ترك شيء من الأركان الأربعة بالكلية مع الإقرار بوجوبها هل يكفر أم لا؟ وقد ذكر ابن تيمية أن الناس في ذلك أصناف وذكر أقوالهم- فراجعها إن شئت[٤].

---

(١) الإسراء: ٥٦.

(٢) نوح: ٢٣.

(٣) راجع اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٣، ٦٧٤، والفتاوى ١/٣٥٧، والرد على الأخنائي ٦٠، ٦١، والرد على البكري ٣٢٦، والفتاوى ٢٧/ ٧٢ وما بعدها.

(٤) الفتاوى ٧/٣٠٢، ٦٠٩، الفتاوى ٢٢/ ٤٠، ١٠/٤٣٤، ٣٦/١٠٥.

٣- **الامتناع عن فعل الأركان الأربعة** كبرًا أو حسدًا أو بُغْضًا لله ورسوله أو عصبية لدينه السابق، أو بغضًا لما جاء به الرسول ﷺ فهذا كافر بالاتفاق وإن لم يجْحَد وجوبها، وكُفْره ككُفر إبليس الذي لم يجحد الأمر ولكنه أَبَى واستكبَر[١].

٤- **رَدُّ ما ثَبت بالكتاب والسنة**، أو ما ثبت بالإجماع والتواتر: قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٤]، قال ابن تيمية: فمن بلغته رسالة محمد ﷺ فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلمًا ولا مؤمنًا، بل يكون كافرًا، وقال أيضًا: كما أن مَنْ آمن بشيء من الكتب المنزلة، وكَذَّب ببعضها كان كافرًا خارجًا عن دين الإسلام، فإن دين الإسلام يتضمن الإيمان بجميع الكتب وجميع ما أخْبَرَتْ به الرُّسُل. اهـ[٥].

٥- **مَنْ رَدَّ شرع الله أو بعضه أو دَفَعَ شيئًا مما أنزل الله**: قال الإمام أبو يعقوب إسحاق ابن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن رَاهَويه- وهو أحد الأئمة يعدل بالشافعي وأحمد: قد أجمع المسلمون أن مَنْ سب الله أو سب رسوله عليه الصلاة والسلام أو دَفَعَ شيئًا مما أنزل الله أو قتل نبيًا من أنبياء الله أنه كافر بذلك وإن كان مقرًا بما أنزل الله. اهـ[٦].

٦- **الحكم بغير ما أنزل الله مع تبديل الشرائع وابتغاء حكم الجاهلية** قال تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[٧] قال ابن تيمية:

---

(٤) انظر المراجع السابقة. (٢) النساء: ٦١.

(٣) النساء: ١٥٠. (٤) البقرة: ٨٥.

(٥) انظر الفتاوى ٣/ ٩٣، ٢٧/ ١٥٠، والإبانة لابن بطة ص٢١١.

(٦) الصارم ص٥١٢. (٧) المائدة: ٥٠.

والإنسان متى حلل الحرام المُجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بَدَّل الشرع المُجمع عليه، كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء[١]. اهـ.

٧- **السجود لغير الله من صنم أو قبر، أو حي أو ميت، أو نحو ذلك** ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[٢]، وقال ابن حجر: فمن أَقَرَّ أُجْرِيَتْ عليه الأحكام في الدنيا ولم يُحكم عليه بكُفْر إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم. اهـ[٣].

٨- **استحلال المحرمات** (كالخمر والزنى)، وترك الواجبات (كالزكاة، والصيام)، وفِعْل ذلك.

٩- **التشبه المطلق بالكفار (أي التشبه بهم في كل أحوالهم)**، وهنا يلزم التنبيه على أن التشبه بهم فيما هو كفر- كفر- وفيما هو دون الكفر- محرم- لكن الحرام الذي يفعله المسلم تشبهًا بالكافرين يكون إثمه مركبا من: إثم فعل الحرام، وإثم التشبه بالكفار، ولكن من تشبه بهم في كل شأنهم كَفَر، لعموم قول النبي ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّه بقوم فهو منهم**»[٤]، قال شيخ الإسلام: وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كُفْر المتشبه بهم، كما في قوله: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾[٥]، وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمر أنه قال: (مَنْ بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبَّه بهم حتى يموت حُشِرَ معهم يوم القيامة)[٦]، فقد يُحْمَل هذا على التشبه المطلق، فإنه

---

(١) الفتاوى ج٣ ص٢٦٧.

(٢) أخرجه الترمذي وأحمد في المسند وفي صحيح الجامع برقم (٥٢٩٤) قال المناوي في فيض القدير: فيه تعليق الشرط بالمحال لأن السجود قسمان: سجود عبادة: وليس إلا لله وحده ولا يجوز لغيره أبدًا، وسجود تعظيم اهـ.

(٣) البخاري كتاب الإيمان باب «بني الإسلام على خمس».

(٤) رواه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢١٨٤).

(٥) المائدة: ٥١.

(٦) أخرجه البيهقي في سننه ٩/ ٢٣٤.

يُوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبْعَاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في القدر الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً لها كان حُكْمُهُ كذلك. اهـ[1].

١٠- **موالاة الكفار موالاة مطلقة:** والولاية هي النصرة والإكرام والاحترام والكَوْن مع المحبوبين باطنًا وظاهراً، وقد حرم الله موالاة الكافرين في مواطن كثيرة من كتابه كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[4]. قال ابن تيمية: وموادة المشركين في قضية معينة لِرَحِم أو حاجة أو نحو ذلك، ذنب وليست كفراً، كما حَصَلَ لحاطب بن أبي بلتعة، لَمَّا كَاتَبَ المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ، وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن سلول في قصة الإفك، أما مَنْ تولاهم ولاءً مطلقًا فهو كافر إن أظهر ذلك ومنافق إن أخفاه. اهـ[5].

١١- **مَنْ قَتَلَ مسلمًا مستحلا لقتله أو من أجل إسلامه:** بين شيخ الإسلام أن استحلال قتل المسلم المعصوم كفر، وكذا تكفيره، إلا أن يكون متأولاً في ذلك مجتهداً فإنه لا يكفر، كما بين أن قتل المسلم من أجل إسلامه، وقتاله مثلما يُقَاتَل النصراني كُفْر، وفاعل ذلك شر من الكافر المعاهد، واستدل على ذلك بقوله تعالى: **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾**[6]، وذكر أن هذه الآية محمولة على المتعمد لقتله من أجل إيمانه، وأما إذا قتله لعداوة أو مال، أو خصومة، ونحو ذلك فهذا من الكبائر ولا يكفر

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢٣٧، ٢٣٨.
(٢) الممتحنة: ١.
(٣) التوبة: ٢٣.
(٤) المائدة: ٥١.
(٥) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ١/ ١٥١، مكتبة أضواء السلف.
(٦) النساء: ٩٣.

بمجرد ذلك عند أهل السنة والجماعة[١].

١٢- **السحر: الذي فيه طقوس شركية للجن**، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[٣]. قال ابن حجر في الفتح: كتاب الطب باب السحر: قوله باب السحر قال الراغب وغيره: السحر يطلق على معان أحدها مَا لَطَفَ ودَقَّ، ومنه حديث: «**إن من البيّان لسِحْرًا**»[٤]، الثاني: ما يقع بخداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يد، وقد يستعين بذلك بما يكون فيه خاصية معينة كالمغناطيس. والثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين، بضرب من التقرب إليهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾. الرابع: ما يحصل بمخاطبة الكواكب. . . وقد يجمع بعضهم (السحرة) بين الأمرين الأخيرين كالاستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب فيكون ذلك أقوى بزعمهم. اهـ. والنوع الثالث والرابع: من تَعَاطَاهم كَفَرَ[٥].

١٣- **إلقاء المصحف في النجاسات**: قال ابن تيمية: وكذلك من قتل نبيًّا أو استَخَفَّ به دَلَّ على كُفْرِهِ وكذلك لو ترك تعظيم المصحف أو الكعبة دَلَ على كُفْرِه[٦]. اهـ، وهذا الكلام يدل على أن تنجيس الكعبة وهدمها عمدًا كفر.

فهذه جملة من المكفرات العملية التي مَنْ تَلَبَّس بها أو بواحد منها صار مرتدًا عن الإسلام.

* * *

(١) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ١/ ١٥٣. (٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) طه: ٦٩. (٤) البخاري كتاب النكاح (١٥٤٦).

(٥) أنكر بعض الناس السحر وجمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة وذهب النافون إلى رَد النصوص الصحيحة المتعلقة بالسحر حتى ردوا أحاديث سحر النبي ﷺ المخرجة في البخاري، وهذا إنكار لحقيقة وتكذيب بسنة.

(٦) الفتاوى: ٧/ ١٤٩.

فصل

في بيان ضوابط التكفير

س٧٦: عرفنا بعض الأمور التي يصير بها المسلم مرتدًّا، هل مَنْ أظهر أمرًا من هذه الأمور نحكم عليه بالردة؟

ج: لابد هنا من تبيين الفارق بين التكفير المطلق وتكفير المعين: فالتكفير المطلق هو: الحكم بالكفر على القول أو الفعل، أو الاعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه، وعلى فاعليها على سبيل الإطلاق، بدون تحديد أحد بعينه، أما تكفير المُعَيَّن: فهو الحكم على المعين بالكفر، بإتيانه بأمر يناقض الإسلام بعد استيفاء شروط التكفير فيه وانتفاء موانعه.

وعلى هذا فليس كل من جاء بمكفر كان كافرًا، كما أنه ليس كُلّ من قال كلمة الكفر أصبح كافرًا، بل يختلف إطلاق هذا الحكم باختلاف الأحوال، وباختلاف الأشخاص[١].

قال ابن تيمية: والتحقيق في هذا: أن القول قد يكون كفرًا، كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، ولا يُرَى في الآخرة، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر، فيطلق القول بتكفير القائل، كما قال السلف: مَنْ قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يُرَى في الآخرة فهو كافر، ولا يَكْفُر الشخص المُعَين حتى تقوم عليه الحجة. اهـ[٢].

س٧٧: إذا كان أمر التكفير عظيما، لماذا لا نتجَنَّب التَّكْفِير بالكلية؟

ج: لقد كان السلف يكفرون من دلت النصوص والأدلة الشرعية على كفرهم يقول الدكتور إبراهيم عامر الزحيلي: بل إن تكفير من دلت النصوص على كفره من أهم أصول عقيدة السلف، حتى إن العلماء حكموا بكفر من لم يكفر الكفار، أو شك في كفرهم، بل نقل القاضي عياض الإجماع على ذلك، قال في ضمن حديثه عن تكفير

---

(١) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ص١٩٣.

(٢) الفتاوى ٧/ ٦١٩.

مَنْ صَوَّبَ أقوال المجتهدين: «وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كُفْر مَنْ لَمْ يُكَفِّر أحدًا من النصارى واليهود، وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك»[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ضمن حديثه عن حكم سب الصحابة في كتاب الصارم المسلول: «أما من اقترن بسبه أن عليًا إله أو أنه كان هو النبي وإنما غَلَطَ جبرائيل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لاشك في كُفْر مَنْ تَوَقَّفَ في تكْفِيره[٢]... وبهذا يُعْلَم خطورة عدم تكفير الكفار، أو مَنْ دَلَّت النصوص على كفرهم، لكن ينبغي في هذه المسألة مراعاة أن التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين فإن الرجل قد يفعل الكفر وينطق بكلمة الكفر، ولا يكون كافرًا حتى تتحقق فيه شروط التكفير وتنتفى عنه موانعه. اهـ[٣].

وهذا الكلام يبين أنه لابد من تحقيق ذلك الأصل العقدي وهو تكفير الكافر، وأن الامتناع عن ذلك مخالف لأصول أهل السنة، لكن لابد من تحقيق الشروط والاطمئنان إلى انتفاء الموانع.

س٧٨ إذا كان لابد في التكفير من شروط تتحقق، وموانع تُنْتَفى فما تلك الشروط التي ينبغي أن تتحقق؟

ج: عرفنا الفرق بين كُفْر الإطلاق وكُفْر المعين، فأما ما يتعلق بكفر الإطلاق فالشرط فيه هو ثبوت المسألة شرعًا فينبغي في هذا المقام أن يكون الأمر منصوصًا عليه أنه كُفْر أكبر، أو دَلَّ الدليل الشرعي كالإجماع على أنه كُفْر أكبر لأن من الكفر ما هو أصغر، ومن الذنوب ما ليست بكفر أصلاً، فلا يُعْتَقَد الكفر المطلق (من قال كَذَا كَفَر، من فعل كَذَا كَفَر، من اعتقد كَذَا كَفَر) إلا بعد تحقق هذا الشرط، أما في تكفير المعين فإن هناك شروطًا لابد من توفرها حتى يحكم على المعين حال ارتكابه أو وقوعه فيما هو كفر أكبر بالكفر من هذه الشروط:

---

(١) الشفا: ص٢٤٤. (٢) الصارم ص٥٨٦.

(٣) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١/ ١٨٨، ١٨٩.

١- **العلم**: إذ لا تكليف إلا بعد بلوغ العلم، قال الدكتور إبراهيم الزحيلي: لا يحكم على معين بكفر حتى تقوم عليه الحجة به مما دلت عليه النصوص، وأقوال أهل السنة، وقد دلت الآيات القرآنية على أن الله تعالى لا يعذب أحدًا من خلقه ممن أتى بالكفر والعصيان إلا بعد بلوغ الحجة بالرسالة، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[١]، قال ابن كثير: إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسل إليه، وقال تعالى: ﴿**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ**﴾[٢]. فدلت هذه الآية على أنه لا يدخل النار إلا مَنْ قامت عليه الحجة بإرسال الرسل وقوله تعالى: ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[٣] فدلت هذه الآيات وأمثالها من الآيات الأخرى على أن الله تعالى لا يعذب على عمل مكفر أو غيره حتى تبلغ صاحب هذا العمل الحجة، ودلَّت السنة كذلك على ما دَلَّ عليه القرآن... دل على ذلك قوله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار**»[٤]، قال النووي في شرح الحديث: وفيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ، وفي مفهومه دلالة على أن مَنْ لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، وهذا جار على ما تقدم في الأصول «أنه لا حكم قبل وُرُود الشرع على الصحيح». اهـ[٥].

٢- **البلوغ والعقل**: حتى يكون من المُكَلَّفِين لأن الحجة لا تقام على مجنون أو صغير لا يعقل فمن الشروط أن يكون بالغًا عاقلاً[٦].

---

(١) الإسراء: ١٥. (٢) الملك: ٨، ٩. (٣) النساء: ١٦٥.

(٤) مسلم كتاب الإيمان باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١٥٢).

(٥) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ج١ ص١٩٣، ١٩٤.

(٦) الردة لا تقع من مجنون أو كافر، ومن زال عقله بإغماء أو نوم أو مرض أو بشرب دواء يُباح شربه.

٣- أنْ يقع من المعين القول أو الفعل المكفر بإرادة واختيار منه فالْمُكْرَه والمخطئ لا تلزمهم أحكام أقوالهم أو أفعالهم كذلك الرجل الذي قال من شدة الفرح «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»(١)- أخطأ من شدة الفرح. وهذا الشرط ذو شقين:

أ- القصد الذي يتنافى مع الخطأ.

ب- الاختيار الذي يتنافى مع الإلجاء والإكراه كما قال تعالى: ﴿**إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾(٢). فهذه الشروط لابد من مراعاة استكمالها في الشخص المعين حتى يحكم عليه بأنه كافر.

س٧٩: عرفنا الشروط التي يجب أن تتحقق ليحكم على المعين بالكفر فما الموانع التي ينبغي أن تَنتفى لثبوت هذا الحكم؟

ج: موانع الحكم على المعين بالكفر يمكن إجمالها فيما يلي*:

١- الجنون: زوال العقل: قال ابن المنذر: «أجمعَ مَنْ نحفظ عنه من أهل العلم، على أن المجنون إذا ارتد في حال جنونه أنه مسلم على ما كان عليه قبل ذلك» اهـ(٣).

وقد دل حديث «أخطأ من شدة الفرح» أن مَنْ أُغْلِق عليه فِكْرُه فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك فإنه غير مُؤَاخَذ كذلك. اهـ(٤)....

وقد يجرى مجراه عدم البلوغ فلا تقع الردةُ من الطفل.

٢- **الخطأ**: فالخطأ مما غفره الله لهذه الأمة في قوله: ﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾(٥)، وكذلك في الحديث: «**إن الله وَضَعَ عَن أمتي الخطأ والنِّسيان وما اسْتُكْرِهُوا عليه**»(٦) قال ابن تيمية: وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك، وإن كان قوله مخالفًا للسنة،

---

(١) رواه مسلم كتاب التوبة (٢٧٤٧). (٢) النحل: ١٠٦.

* الكلام على الشروط والموانع يحتاج إلى تفصيل موسع لا يحتمله مقام السؤال والجواب ولعل الله ييسر بجعل رسالة مستقلة في هذا الباب، والله المستعان.

(٣) المغني: ١٢/٢٦٦. (٤) انظر القواعد المثلى لابن عثيمين رحمه الله ص٨٩.

(٥) البقرة: ٢٨٦. (٦) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في الإرواء رقم (٨٢).

فتكفير كل مخطئ بخلاف الإجماع(١).

٣- **الجهل***: قد عرفنا في الشروط أن التكليف بعد العلم وأنه لابد من بلوغ الحجة الرسالية، لذا من أنكر أمرًا من أمور الشرع جاهلاً به ولم يبلغه ما يُوجب العلم بما جهله، فإنه لا يكفر(٢). وقال سفيان الثوري: (ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمدًا من غير جهل، ولا عذر هو كفر)(٣).

٤- **العجز**: إن من المقرر شرعًا أن المرء لا يكلف ما لا يطيق، ولا يقدر على أدائه وقد جاء هذا المعنى مصرحًا به في مواضع كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾(٤)، وقوله: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾(٥) ويبين ذلك أن النجاشي كان ملك النصارى في الحبشة، فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام، ولم يدخل معه سوى نفر يسير منهم، وكثير من شرائع الإسلام لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك، فلم يهاجر، ولم يجاهد، بل روى أنه لم يصلي الصلوات الخمس، ولم يصم شهر رمضان، ولم يكن يؤدي الزكاة الشرعية لأن ذلك يظهر عند قومه فينكرونه عليه وهو لا يمكنه مخالفتهم ويُعْلم قطعًا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم الإسلام، لأن قومه لا يقرونه على ذلك، ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(٦). وهذه الآية قد قال طائفة من السلف: إنها نزلت في النجاشي

---

(١) الفتاوى ٧/ ٦٨٥.

* العذر بالجهل مسألة كثر فيها الكلام لكن هى أصل من أصول أهل السنة ولعله يكون فيها بحث مستقل إن شاء الله.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٧/ ٥٣٨.

(٣) السنة: لعبد الله بن أحمد ص٧٤٥.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

(٥) الطلاق: ٧.

(٦) آل عمران: ١٩٩.

ومنهم من قال فيه وفي أصحابه[١].

٥- **الإكراه:** بنص الآية: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾. وهذا المانع معتبر عند السلف لدلالة النصوص عليه. قال ابن تيـمية: لم يكن عندنا نزاع في أن الأقوال لا يثبت حكمها في حق المكره بغير حق فلا يصح كفر المكره بغير حق، ولا إيمان المكره بغـير حق. اهـ[٢]. وقال القرطبي: إن النطق بكلمـة الكفر تسقط الأحكام المترتبة عليه والإثم في حال الإكراه باتفاق العلماء. اهـ[٣].

تنبيـه: الإكراه عارض دراسـته تحتاج إلى تفـصيل موسع حتى يعـلم حدود الإكراه وشروطه، وهل تدخل الأفعال أم يقتصر على الأقوال، وهل يكون بكل ضرر أم بضرر معين، وغـير ذلك من المسائل التي تحتاج إلى بيان لكن المقـام يتعلق بذكر الموانع لا بشَرْحِها وتفصيلها.

٦- **التـأويل:** وكل مَنْ وَقَعَ في أمر مُكَفِّر بتأويل فإنه لا يكفـر حتى تقام عليه الحجة الدامغة لتأويله، والمُسْقِطَة لشبهته، يقول ابن تيمية: (من كان مؤمنًا بالله ورسوله إيمانًا مطلقًا ولـم يبلغه من العلم ما يُبَيِن له الصـواب فإنه لا يحكم بكفـره حتى تقوم عليه الحـجة التي من خالفها كفـر إذ كثير من الناس يخطئ فيـما يتأوله من القرآن، ويجهل كثيرًا مما يَرِد من معاني الكتاب والسنة، والخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الأمة، والكفر لا يكون إلا بعد البيان. اهـ[٤]. وما منع أهل السنة من تكفـير أهل الأهـواء و البدع- كـالخـوارج الذين ظهروا في زمـن الصحـابة ولم يكفروهم- إلا التـأويل وبالرغم من أنهم ناظروهم وبينوا لكثـير منهم الحق، إلا أنهم لم يكفروهم، وهذا يبين أن التأويل عارض ومانع من موانع التكفير.

* * *

---

(١) الفتاوى: ٢١٧/١٩ وما بعدها. راجع هذا المرجع للمزيد في هذا البحث وبيان الأدلة على أن العجز مانع من موانع التكفير وأنه عذر يُعْذَر صاحبه به.

(٢) الاستقامة: ٢/ ٣٢٠.

(٣) تفسير القرطبي عند تفسير الآية.

(٤) الفتاوى ٥٢٢/١٢ وما بعدها.

فصل

في بيان النفاق وحقيقته

س ٨٠ : عرِّف النفاق لغة وشرعًا مع بيان حقيقته؟

ج : **النفاق لغة:** من النفق وهو الطريق النافذ، والسرب في الأرض النافذ فيه. قال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ﴾[1] ومنه نافقاء اليربوع، وقد نافق اليربوع، ونفق، ومنه النفاق: وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب وعلى ذلك نبه تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2] أي: الخارجون من الشرع، ونَافَقَ أي دخل في نافِقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين. والنِّفاق بالكسر: فعل المنافِق.

النفاق شرعًا: الدخول في الإسلام من وَجْه والخروج عنه من آخر مشتق من نافقاء اليربوع وقد نَافَق مُنَافقة ونِفاقًا وقد تكرر في الحديث ذكر النفاق وما تَصَرَّف منه اسمًا وفعلاً. وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يَسْتُر كُفْرَه ويُظْهِر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفًا وفي حديث حنظلة: «**نافق حنظلة**» أراد أنه إذا كان عند النبي ﷺ أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه عند النبي ﷺ ورغب فيها، فكان نوعًا من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه. وفي الحديث: «**أكثر مُنَافِقِي هذه الأمة قُرَّاؤها**»*. أراد بالنفاق ههنا الرياء لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن. اهـ[3]. وقيل: النفاق هو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد[4].

قال ابن القيم في بيان مراتب المُكَلَّفِين في الدار الآخرة وطبقاتهم: الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار[5].

---

(١) الأنعام: ٣٥. (٢) التوبة: ٦٧.

* أخرجه أحمد في المسند (٦٥٩٦) وفي صحيح الجامع برقم (١٢٠٣).

(٣) راجع مفردات ألفاظ القرآن، ولسان العرب. (٤) عارضة الأحوذي ١٠/ ٩٧.

(٥) طريق الهجرتين ٣/ ٣٤٧.

س ٨١ : هل النفاق نوع واحد أم له أنواع؟ وما هذه الأنواع؟

ج: النفاق كالكفر، نفاق دون نفاق، أو نفاق غير مخرج من الملة، ونفاق مخرج من الملة، وقد اختلفت أقوال الأئمة في إيضاح هذين النوعين فمنهم مَنْ سمى النفاق المخرج من الملة بالنفاق الاعتقادي، والذي لا يخرج من الملة بالنفاق العملي فقد قال الترمذي في تعليقه على حديث: «أربع مَنْ كُنَّ فيه...» الحديث* قال: وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل، وإنما نفاق التكذيب على عهد رسول الله ﷺ، هكذا روى عن الحسن البصري شيئًا من هذا، أنه قال: النفاق نفاقان، نفاق عمل، ونفاق التكذيب[١].

وقال ابن كثير: (النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: **اعتقادي**، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، **وعملي**: وهو من أكبر الذنوب)[٢]، قال ابن حجر: والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك، وتتفاوت مراتبه[٣].

وفريق آخر من الأئمة والعلماء سمى نفاق التكذيب أو النفاق الذي يخرج من الملة بالنفاق الأكبر، والذي لا يخرج من الملة بالنفاق الأصغر يقول ابن تيمية: فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق ابن أُبيّ وغيره. . . فهذا ضرب مِنْ النفاق الأكبر وأما النفاق الأصغر فهو النفاق في الأعمال ونحوها[٤]. . . وقال أيضًا: والنفاق كالكفر، نفاق دون نفاق، ولهذا كثيرًا ما يُقَال: كفر يَنْقُل عن الملة، وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر، ونفاق أصغر، كما يقال الشرك شركان: أصغر، وأكبر[٥].

ويقول ابن القيم في بيان أقسام النفاق، وهو نوعان: أكبر، وأصغر[٦]، . . . وكلا

---

* سيأتي تخريجه.

(١) عارضة الأحوذي ١٠/ ١٠٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٤٧.

(٣) فتح الباري ١/ ٨٩.

(٤) الفتاوى ج٢٨، ص٤٣٤ وما بعدها.

(٥) الإيمان الأوسط: ص٦٦.

(٦) مدارج السالكين ١/ ٣٧٦.

التقسيمين مُعْتَبر، والأقرب للصوابْ والأوفق هو تقسيم النفاق إلى أكبر وأصغر وذلك لسببين: **الأول**: أن النفاق الأكبر لا يختص بالجانب الاعتقادي فقط ولذلك حين ذكر القرآن صفات المنافقين- أصحاب النفاق الأكبر- ذكر منها تنقيصهم للرسول ﷺ، وسخريتهم بالمؤمنين، ومناصرتهم للكفار، ونحو ذلك. وهذه الأمور وإن اقترنت غالبًا بفساد اعتقادي إلا أن ذلك ليس بلازم. **الثاني**: ليس كل نفاق اعتقادي يخرج من الملة، فقد يكون ذلك من جنس يسير الرياء ونحوه، وهو اعتقادي ولكنه أصغر[(١)].

س٨٢: لقد جاء في كلام كثير من أهل العلم «أن النفاق منه عملي ومنه عقدي»، وقد عرفنا أن تقسيم الكفر على ذلك غير منضبط، فكيف به في النفاق؟

ج: لما كان النفاق مختصًا بسريرة القلب وأنه متعلق بما يُضْمِر من سوء أو كفر أو تكذيب، وذلك على الغالب من حال المنافق، وأن المنافقين تجرى عليهم أحكام الإسلام في الظاهر، وأن حقيقة أمرهم لا يعلمها إلا الله؛ لأنها في الباطن، فكان وَصْف النفاق المخرج من الملة الذي هو نفاق المنافقين في زمن النبي ﷺ وأمثالهم، توافق من ذلك أن يُسَمَّى هذا النوع بالنفاق الاعتقادي؛ لأنه أغلبه، ولأنه متعلِّق بحقيقته، وأيضًا لما وردت النصوص مثل ما جاء من حديث أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ وإذا ائتمن خان**»[(٢)]، وأمثاله من النصوص التي تثبت أن اجتماع مثل هذه الأعمال المحرمة في شخص تكون علامة على النفاق، بالرغم من أنها أعمال، فتَوافَق من ذلك أن يُسمى ارتكاب مثل هذه الأعمال نفاقًا عمليًا، وهي تسمية قريبة إلى الصواب وهي مقبولة في أمر النفاق بناءً على ما ذكرت من الاعتبارات، أما في أمر الكفر أو الشرك فهي بعيدة عن الصواب لأن من الكفر أو الشرك ما هو متفق عليه بل ومُجْمع عليه أنه كفر عمل محض مخرج من الملة»[(٣)].

(١) انظر نواقض الإيمان الاعتقادية ص١٥٣.
(٢) البخاري كتاب الإيمان (٣٣).
(٣) راجع سؤال (٤٨).

س٨٣ : ما حقيقة النفاق الأصغر؟

ج : النفاق الأصغر هو النفاق الذي لا يُخْرج من الملة، والأصل في بيان ذلك النوع وحقيقته ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم في ذكر آية المنافق، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعَها: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أَخْلَفْ وإذا عَاهَد غَدَر وإذا خَاصَم فَجَر**». أخرجه البخاري[١]، وعند مسلم[٢] أيضًا، وبلفظ «خَلَّة» بدلاً من «خصْلة»، قال النووي في شرح مسلم: وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقًا بقلبه ولسانه، وفَعَلَ هذه الخِصال، لا يُحْكَم عليه بكفر... وقال: إن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق مَنْ حَدَّثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فَيُظْهِر الإسلام، وهو يُبْطِن الكفر، ولم يُرِد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا أنه منافق نفاق الكفار المُخَلَّدين في الدَّرْكِ الأسفل من النار، وقوله صلى الله عليه وسلم : «**كان منافقًا خالصًا**» معناه: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخِصال، قال بعض العلماء: هذا في من كانت هذه الخِصال غالبة عليه، فأما مَنْ يَنْدر ذلك منه فليس داخلاً فيه (في الحديث)، فهذا هو المختار في معنى الحديث[٣]. وقال الخطابي: هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يُعتاد هذه الخصال، فتفضى به إلى النفاق لا أن من بدَرَتْ منه هذه الخصال، أو فَعَل شيئًا من ذلك من غير اعتياد أنه منافق[٤].... **ومن النفاق الأصغر أيضًا**: الإعراض عن الجهاد فإنه من خصال المنافقين، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**مَنْ مات ولم يَغْز ولم يُحَدِّث نفسه بالغزو مات على**

---

(١) البخاري كتاب الإيمان (٣٤)، وكتاب المظالم (٢٤٥٩).

(٢) مسلم كتاب الإيمان (٥٨) باب بيان خِصال النفاق.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٤٦، ٤٧.

(٤) شرح السنة ١/٧٦.

شُعْبة من نفاق»[١].

ومن هذا النوع أيضًا ما جاء في الحديث عن حنظلة الأسدي، أنه مَرَّ بأبي بكر وهو يبكي، فقال مَالَك؟ قال: نَافَقَ حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله ﷺ يُذَكِّرُنا بالجنة والنار كأنا رَأْيَ عَين، فإذا رجعنا، عافسنا الأزواج والضيعة فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فالله إنا لكذلك، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: مَالَكَ ياحَنْظَلَة؟ قال: نافق حنظلة يا رسول الله، وذكر له مثل ما قال لأبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «**لو تُدَاوِمُونَ على الحال التي تقومون بها من عندي، لصَافَحَتكُم الملائكة على مجالسكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**»[٢].. وهذا يبيّن أن الإيمان ينقص من مقام إلى مقام، وأنه ينبغي للعبد أن يتعهد إيمانه، وهذا حنظلة رضي الله عنه ليس بالمنافق لكنه رأى أن اختلاف الحال في الإيمان نوع نفاق، وخشى من ذلك وبكى، وكذلك خاف الصحابة من النفاق، فهذا ابن أبي مُلَيْكة يقول: أدرَكْتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كُلُّهُم يَخَافُ النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل»[٣]. **ومن النفاق الأصغر**: الرياء في العمل، ليس في أصله ولا كُليته، وإلا كان نفاقًا أكبر.

قال ابن رجب: ومن أعظم خصال النفاق العملي أن يعمل الإنسان عملاً، ويُظْهِر أنه قَصَد به الخير وإنما عَمَلَه ليتوصل به إلى غرض له سيىء، فيتم له ذلك، ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه، ويفرح بمكره وخداعه وحَمْد الناس على ما أظهره، وتَوَصَّل به إلى غرضه السيىء الذي أبطنه، قال تعالى: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٤] اهـ[٥].

(١) مسلم كتاب الإمارة باب: إثم من مات ولم يغز (١٩١٠).

(٢) مسلم كتاب التوبة (٢٧٥٠) باب فضل دوام الذكر.

(٣) البخاري كتاب الإيمان «تعليقًا» باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله.

(٤) آل عمران: ١٨٨.

(٥) جامع العلوم والحكم ص٤٩٣.

س٨٤ : ما النفاق الأكبر ؟ وما حقيقته ؟

ج : قال ابن رجب: النفاق الأكبر: هو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار. اهـ[١].

وقد جاء في القرآن كثير من الآيات في تكفيرهم وبيان سوء مصيرهم في الآخرة كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٥]. وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين لنا أن المنافقين من أسوأ أنواع الكفار؛ لأنهم زادوا على كفرهم، الكذب، والمراوغة والخداع للمؤمنين، ومن صور هذا النفاق- أعاذنا الله منه ومن كل سوء- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار كنفاق عبد الله بن أُبَيّ وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به، أو بُغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المسَاءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوًّا لله ورسوله، وهذا القدر كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ ، وما زال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده ﷺ اهـ[٦]. وقال في موضع آخر: فإن النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه فألا يرى وجوب تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر- علمًا وعملاً- وأنه يجوز تصديقه وطاعته، لكنه يقول: إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدًا، ويرى أنه

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٤٨١.
(٢) البقرة: ٨.
(٣) النساء: ١٣٨.
(٤) النساء: ١٤٥.
(٥) التوبة: ٧٣.
(٦) الفتاوى ٢٨/ ٤٣٤.

تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته، إما بطريق الفلسفة والصبو، أو بطريق التهود والتنصر[١]، فهذا الكلام يبيّن معنى النفاق الأكبر وحقيقته ويعطي كذلك بيان للكثيرِ من صوره.

س٨٥: في الحديث: «ثلاث من كن فيه» ذكر أن الكذب في الحديث، وخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، من علامات النفاق، فلماذا جُعلت على الخصوص علامات للنفاق، بالرغم من وجود محرمات كثيرة في الشريعة؟

ج: قال ابن حجر في الفتح في شرحه لحديث: «**ثلاث من كن فيه**»: ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث أنها منبهة على ما عداها، إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف، لأن خلف الوعد لا يقدح إلا إذا كان العزم عليه (الخلف بالوعد) مُقَارِنًا للوعد. اهـ[٢].

وقد روى عن محمد بن كعب القرظي* أنه استنبط ما في هذا الحديث من القرآن فقال: مصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ...**﴾ إلى قوله: ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ...**﴾ إلى قوله ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[٤] وقال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ..**﴾ إلى قوله: ﴿**لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ**﴾[٥] قلت: وكأنه رأى أن آية «المنافقون» توافق قول النبي ﷺ «**إذا حدَّث كذب**»، وآيات «التوبة»: «**إذا وعدَ أخْلَفَ**»، وآيات «الأحزاب» توافق «**إذا ائتمن خان**» لأن

(١) الإيمان الأوسط ص١٨٠.

(٢) فتح الباري كتاب الإيمان باب: علامة المنافق.

* رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص٣٣.

(٣) المنافقون: ١.

(٤) التوبة: ٧٤- ٧٧.

(٥) الأحزاب: ٧٢، ٧٣.

بني آدم ائتمنوا على أمانة الإيمان فخانوها- إلا من رحم الله- قال النووي: وقال جماعة من العلماء: المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي ﷺ فحدثوا بإيمانهم وكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا، ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخْلَفُوا، وخاصَمُوا وفَجَرُوا في خصومتهم[١] .اهـ.

س٨٦: ذكرت في النصوص خصال النفاق، كم خصلة وردت؟ وما معنى كل منها؟

ج: لقد ورد في النصوص المتعلقة بخصال النفاق وعددها: آية المنافق ثلاث، وفي أخرى أربع مَنْ كن فيه، قال القرطبي والنووي: حصل من مجموع الروايتين خمس خصال؛ لأنهما تواردتا على الكذب في الحديث، والخيانة في الأمانة، وزاد الأول الخلف في الوعد، والثاني الغدر في المعاهدة، والفجور في الخصومة. اهـ[٢].

ومعنى «**إذا حدث كذب**»: هو أن يحدث بحديث لمن يصدقه به وهو كاذب له، وكان الحسن يقول: أس النفاق الذي بنى عليه النفاق الكذب، ومعنى إذا وعد أخلف: هو على نوعين، أحدهما: أن يَعِدَ ومِنْ نيته ألا يفي بوعده، وهذا شر الخلف، الثاني: أن يَعِدَ ومِن نيته أن يفي ثم يبدو له، فيخلف من غير عذر له في الخلف، ومعنى إذا خاصم فجر: يعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمدًا، حتى يصير الحق باطلاً، والباطل حقًا، وهذا مما يدعو إليه الكذب، كما قال ﷺ: «**إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار**»[٣]، وقالوا: الفجور: الميل عن الحق، والاحتيال في رده، قاله الحافظ في الفتح، ومعنى: «**إذا عاهد غدر**» أي: لم يَفِ بالعهد، وقد أمر الله بالوفاء بالعهد فقال: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾[٤]، وآيات آخرى فيها التشديد في أمر العهد والتحضيض على الوفاء به، وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «**لكل غادر لواء يوم**

(١) شرح مسلم كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

(٢) فتح الباري كتاب الإيمان باب علامات النفاق.

(٣) البخاري (٦٠٩٤).

(٤) الإسراء: ٣٤.

القيامة يُعْرَف به»، والغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره ولو كان المُعَاهَد كافرًا، ومعنى: «إذا ائتمن خان»، فإن الرجل إذا ائتمن أمانة، فالواجب عليه أن يؤديها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[1]. وفي الحديث: «أَدِّ الأمانة إلى مَنْ ائتمنك»[2]. وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]. فالخيانة في الأمانة من خصال النفاق، وفي حديث ابن مسعود من قوله: وروى مرفوعًا: والقتل في سبيل الله يكفر كل ذنب إلا الأمانة، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك فيقول أنَّى يا رب وقد ذهبت الدنيا فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، فيهوى فيها حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هناك كهيئتها، فيحملها، فيضعها على عنقه فيصعد بها في نار جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج منها ذلَّت فهوت، وهو في إثرها، قال: والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع[4].

* * *

فصل

في بيان معنى الطاغوت وحقيقة الكفر به شرعًا

س٨٧: عرف معنى الطاغوت في اللغة وفي سياق القرآن؟

ج: **الطاغوت لغة:** يقال: طغوت وطغيت، طغوانًا، وطغيانا، وأطغاه: حَمَلَهُ على الطغيان، وطَغَا يطْغَي: بفتح الغين فيهما ويطْغُو طُغْيانًا وطُغْوانا: أي جاوز الحد وكل مُجَاوِز حده في العصيان طَاغٍ وطَغِيَ بالكسر مثله وأطْغَاهُ المال جعله طَاغِيًا، وطغى البحر: هاجت أمواجه وطغى السيل جاء بماء كثير وذلك تجاوز الحد في العصيان، قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[5]، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾[6]، وقال: ﴿قَالا رَبَّنَا

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، والدارمي من حديث أبي هريرة. (٣) الأنفال: ٢٧.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٤/١٠١، وقال الهيثمي في المجمع ٥/٢٩٢، ٢٩٣: رجاله ثقات.

(٥) النازعات: ١٧. (٦) العلق: ٦.

إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾[٤]. فاستعير الطغيان فيه لتجاوز الماء الحد، وقوله: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[٥]، إشارة إلى الطوفان.

والطَّغْوَى: الاسم منه، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾[٦].

والطاغوت: مؤنث من طغى يطغى، ووزنه فعلوت، نحو: جبروت وملكوت، يقع على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث: والطاغوت عبارة عن كل معتد، وكل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع. قال الجوهري: والطاغوت الكاهن والشيطان، وكل رأس في الضلال، وقد يكون واحدًا، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾[٧]، وقد يكون جمعًا، قال تعالى: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾[٨]، والجمع: الطواغيت، كما يقال: طواغ في جمع طاغوت.

س٨٨ : عرِّف حقيقة الطاغوت شرعًا؟

ج: **الطاغوت شرعًا**: عَرَّفَه العلماء من زمن الصحابة بتعريفات عِدة فمنهم من قال: الطاغوت: ما عُبد من دون الله عز وجل، وكل رأس في الضلال طاغوت، وقيل: الطاغوت: الأصنام، وقيل الشيطان، وقيل: الكهنة، وقيل: مَرَدةُ أهل الكتاب، وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[٩] قال أبو الحسن: قيل: الجبت والطاغوت ههنا حُيَيُ بن أخطَب وكَعْبُ بن الأشْرَف اليهوديان لأنهم إذا اتبعوا أمرهما فقد أطاعوهما من دون الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾[١٠] أي: إلى الكهان والشيطان وعرفه الطبري بتعريف يقرب حقيقته فقال: والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله فَعُبِد من دونه، إما بقهر منه لمن

---

(١) طه: ٤٥. (٢) الكهف: ٨٠. (٣) ص: ٥٥.
(٤) الحاقة: ١١. (٥) الحاقة: ٥. (٦) الشمس: ١١.
(٧) النساء: ٦٠. (٨) البقرة: ٢٥٧. (٩) النساء: ٥١. (١٠) النساء: ٦٠.

عبده، وإما بطاعة من عبده له، وإنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء. اهـ[(١)].

قلت: وهذا يعني أن هناك طريقين لتنصيب الطاغوت: **الأول:** بقهر منه لمن عَبَده، وهذا كسائر الطواغيت التي تُرْهِب الناس ليعبدوها، أو ينزلوها منزلة لا تنبغي إلا لله، ومثاله الجَلِي: فرعون الذي قال: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ**﴾[(٢)]، **والثاني:** هو ما يكون برضا وطاعة ممَّن عَبَد الطاغوت وهذا كحال الذين قالوا: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾[(٣)]، وكلا الطريقين له صور كثيرة تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان فكم في الدنيا من فَرَاعِين، يأطرون الناس إلى عبادتهم أطرًا، ويعاقبون ويقتلون كل من كَفَرَ بهم وآمن بالله وحده، وكم في الدنيا من معبودات نَصَبَّها الناس طواغيت- طواعية- من حجر، أو شجر، أو مقبور، أو حتى حيوان- والعياذ بالله- أو حتى أهواء وعادات وآراء[(٤)].

وصور الطاغوت لا تنحصر فيما ذكره أهل العلم لأن الشياطين لا يزالون بابن آدم يأمرونه بعبادة الطاغوت والكفر بالله- عياذًا بالله- ولا يزال الشيطان بابن آدم حتى يعبد الطاغوت ويكفر بالله، فلذلك لا تنحصر الصور، ولكن كل مَنْ تحقق فيه حد الطاغوت ومعناه فهو داخل في صورة من صور الطاغوت، وقد جمع ابن القيم لحد الطاغوت تعريفًا مِن أجْمَع ما وقفت عليه، قال رحمه الله: **والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع**، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم أعْرَضَ عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت

---

(١) الطبري عند بيان آية البقرة: ٢٥٦. (٢) النازعات: ٢٤. (٣) الزمر: ٣.

(٤) مثل القوميات، والمذاهب السياسية كالشيوعية، والعلمانية، والعادات مثل: الفن، والموضة والأموال، والأملاك، و المتاع التي تحمل صاحبها على الارتداد عن الإسلام، ونحو ذلك.

ومتابعته. اهـ[١].

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (والطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله ورضى بالعبادة، من معبود أو متبوع أو مُطَاع في غير طاعة الله ورسوله)[٢].

وهذه الحدود تدل على معالم ما يصير به الشيء طاغوتًا، ويمكن أن نلخص هذه المعالم في عبارة تقرب حقيقة الطاغوت وحَدَّهُ، بأن نقول: **إن الطاغوت هو كل من صُرِفَ له من دون الله عبادة، أو أُنْزِلَ منزلة لا تنبغي إلا لله جل وعلا،** فمن عُبد بالدعاء: (الطلب، الاستغاثة، الاستعانة، المناداة بالغيب) أو بالذبح له، أو النذر له، أو السجود له على وجه العبادة والتعظيم، فهو طاغوت تحقق فيه حد الطاغوت، وكذلك كل مَنْ أُنْزِلَ منزِلة المُخَاف منه خوف الآجال والأرزاق، والنفع والضر، والمصاب في النفس والأهل، والمال، والولد، أو منزلة المرجو في هذه الأمور، أو المُنَزَّل في منزلة من له حق التشريع دون الله، سواء أُثْبِتَ هذا الحق على أنه أفضل من الله- والعياذ بالله- أو مساو لله، أو بعد الله، أو أُنزِل مَنْزِلة من يعلم الغيب، ويعلم ما في الغد، ويعلم المخبوء، أو نحو ذلك، أو ينزل منزلة المُطاع فلا يُعْصَى، ويُخشى بالغيب فلا يُعصى، أو ينزل منزلة من له حق الاتباع المطلق من دون الله أو الرسول ﷺ، فكل مَنْ أُنزِل هذه المنازل، أو بعضها أو واحدة منها، من دون الله عز وجل فهو طاغوت تحقق فيه حقيقة الطاغوت ومعناه، وهذا يدلنا على سبب تعدد تعريف الطاغوت في كلام الصحابة وأهل العلم، من أنهم قالوا- كما سبق-: الطاغوت الشيطان، الأصنام، السحر، الكهان، وهكذا.

س٨٩: جاء في الكتاب الكريم: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾[٣] فما الفرق بين الجبت والطاغوت؟

ج: قال ابن تيمية رحمه الله: الطاغوت هو الطاغي من الأعيان، والجِبت: هو من

---

(١) إعلام الموقعين: ١/ ٥٠.

(٢) مؤلفات محمد بن عبد الوهاب القسم الأول العقيدة ص٣٧٧. (٣) النساء: ٥١.

الأعمال والأقوال، كما قال عمر بن الخطاب: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، ولهذا قال النبي ﷺ: «**العيافة*، والطيرة**[١]**، والطَّرْق* من الجبت**»[٢] كذلك ما أخبر عن أهل الكتاب بقوله: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾[٣] أي: ومن عبد الطاغوت، فإن من أهل الكتاب كان منهم من أشرك وعبد الطواغيت، فهنا ذكر عبادتهم للطاغوت وفي «البقرة»، ذكر اتباعهم للسحر، وذكر في النساء إيمانهم بهما جميعًا. اهـ[٤].

س٩٠: ما حقيقة الكفر بالطاغوت؟

ج: الكفر بالشيء يعني جحوده وإنكاره والتكذيب به، وترك كل ما يقتضي إثباته، وتصديقه، والإقرار به، وحقيقة الكفر بالطاغوت تكون في هذا الإطار.

يقول الطبري: (فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله، فيكفر به، ويؤمن بالله، ويُصَدِّق بالله أنه إلهه وربه ومعبوده، فقد تَمَسَّكَ بأوثق ما يتمسك به مَنْ طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه)[٥] اهـ.

وقد بيّن الله في القرآن الموقف من الطاغوت بعبارتين، **الأولى**: في قوله: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**﴾[٦]، **والثانية** في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[٧]، وهذا يعني أن حقيقة الكفر بالطاغوت لا تتحقق إلا بتحقق الكفر والاجتناب، وبينهما ترابط، وكل منهما يحقق الآخر.

---

* هي من أمور الكهانة والعِرافة يُدعى بها معرفة طالع الإنسان وغيبه، ومعرفة ما في النفوس مثل: زجر الطير وضرب الودع، وقراءة الكف، وقراءة الفنجان، وفتح المندل وضرب الحصى... وما شابه من أمور الكهانة.

(١) الطِيرة: التشاؤم.

(٢) الفتاوى ٢٨/ ٢٠٠.

(٣) رواه أبو داود كتاب الطب (٣٩٠٧)، وأحمد في المسند (١٥٤٨٥)، وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٣٩٠٠).

(٤) المائدة: ٦٠.

(٥) تفسير الطبري عند بيان آية البقرة ٢٥٦.

(٦) البقرة: ٢٥٦.

(٧) الزمر: ١٧.

يقول د. علي بن نفيع العلياني[1]: فإذا أراد العبد أن يكفر بالطاغوت- الذي تقدم شرح مُسماه- فلابد من أن يستر ويغطى وينكر ويجحد الخصائص والصفات التي طغى بها الطاغوت، وهو لا يستحقها، أو ادعيت له، ولابد أن يعصى وأن يمتنع عن الاستجابة للطاغوت في ممارسة أي شيء يظهر منه الإقرار للطاغوت بشيء من الخصائص والصفات التي طَغَى بها، أو ادُّعِيت له وهو لا يستحقها، فإذا كان طغيان الطاغوت بإدعاء علم الغيب مثلاً، أو ادعاء ملك النفع والضر، أو ادعاء ردّ الأمر إليه وحْدَه عند التنازع (التحاكم) أو ادعى له أحد هذه الخصائص وما شابهها من خصائص الرحمن، أو ادعى خصائص الأنبياء، أو ادُّعِيت له، فلابد حتى يتحقق إيمان العبد بالله ويكون كافراً بالطاغوت أن ينكر هذه الخصائص لذلك الطاغوت، وأن يستر إثباتها له، ويجحدها، وأن يتبرأ من الطاغوت، ومن إثبات تلك الخصائص له، وأن يعانده ويعاديه، ويكره بقلبه الطاغوت وما ادعاه أو ادعى له، وأن لا يطيعه في شيء من تلك الدعاوى، وأن يكون هذا الكفر بالقول واللسان والعمل، لأن الكفر نقيض الإيمان. اهـ.

وهذا الكلام يبين أن حقيقة الكفر بالطاغوت تبدأ بالبغض القلبي للطاغوت، ومراسم طاغوتيته، والتعبير عن ذلك باللسان، والصدع بالحق، والامتناع بالنفس والمال والولد عن قبول الطاغوت ومراسمه، بل ومعاداته، والبراءة منه، واجتنابه؛ لأن مَنْ كفر بالطاغوت اجتنبه ما وجَدَ إلى ذلك سبيلاً، فإذا انقطعت السبل، فلا يصح دين عبد بغير البراءة القلبية، والكفر القلبي، والعداوة القلبية للطاغوت والطغيان، نسأل الله العافية والسلامة، والهداية في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) حقيقة الكفر بالطاغوت ص٦٥، طبعة دار التربية والتراث، مكة.

فصل

في بيان حقيقة العبودية، وبيان مقتضياتها

س٩١: عَرِّف العبودية لغةً؟

ج: **العبودية لغة**: أصلها من العبد: وهو الإنسان، حرًّا كان أو رقيقًا يُذْهَبُ إلى أنه مربوب لِبَاريه جل وعز. ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق مُعَبَّد، إذا كان مذللاً بكثرة الوطء، وأصل العبودية الخضوع والتذلل، والتعبد: التذلل، والتعبيد: التذليل. وبعيرٌ مُعَبَّد: مُذَلَّل والمُعَبَد الطريق الموطوء، وعُني بالمعبد الطريق الذي لا يُبْس يحدث عنه فكأنه طريق مُعَبد قد سُهِّل وذُلِل، والتعبد: التنسك، والعبادة: الطاعة. وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1] أي: نطيع الطاعة التي يُخضع معها، وقيل: إياك نوحد، وعَبَد الله يَعْبُدُه عِبَادَة ومَعْبَدًا ومَعْبَدَة: تألَّه له، ورجل عابد من قوم عَبَدَة وعُبُد وعُبَّد وعُبَّاد، وقوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[2] أي: دائنون، وكلُّ مَنْ دَانَ لملك فهو عابدٌ له.

وقال ابن الأنباري: فلان عابد، وهو الخاضع لربه، المستسلم له المُنْقَاد لأمره وقوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[3] أي: أطيعوا ربكم، والتَّعْبيدُ: الاسْتِعْبَاد، وهو أن يتخذه عبدًا، قال الأزهري: والمعروف عند أهل اللغة: أعْبَدْتُ فلانًا أي استعبدتُه، وعبده واعتبده واستعبده، اتخذه عبدًا، يقال: تعبدت فلانًا، أي اتخذتُه عبدًا مثل «عبدته» سواء، وتأميت فلانة: أي اتخذتُها أَمَةً، وفي التنزيل: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[4]، وجَمْع العبد الذي هو مسترق: عبيد، وجمع العبد الذي هو العابد عُبَّاد[5]..

س٩٢: عَرِّف العبودية شرعًا؟

ج: **العبودية**: إظهار التذلل، والعبادةِ أبلغ منها، لأنها غاية التذلل ولا يستحقُّها إلا

---

(١) الفاتحة: ٥. (٢) المؤمنون: ٤٧. (٣) البقرة: ٢١.

(٤) الشعراء: ٢٢. (٥) انظر لسان العرب.

مَنْ له غاية الإفْضَال وهو الله تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾(١). وفي حديث أبي هريرة: «لا يَقُلْ أحدكم لمملُوكه عَبْدي وأَمَتِي، ولْيَقُل فَتَاي وفَتاتِي»(٢) هذا على نفي الاستكبار عليهم، وأن ينسب عبوديتهم إليه، فإن المستحقَّ لذلك الله تعالى هو رب العباد كلهم والعبيد، ولا يُقال عَبَد يعبُدُ عبادة إلا لمن يَعْبُد الله، ومن عبد دونه إلهًا فهو من الخاسرين. قال: وأما عَبْدٌ خَدَمَ مولاه فلا يقال عَبَدَه. ويقال للمشركين: هم عَبَدَةُ الطاغوت. ويقال للمسلمين: عِبادُ الله يعبدون الله. والعابد: المُوحِّدُ(٣).

وهي حقيقة الدين، قال ابن تيمية: والغاية المقصودة هي حقيقة الدين وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، وهو أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، والله لا يغفر أن يشرك به، ومن لم يستسلم لله، بل استكبر عن عبادته، كان ممن قال الله فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٤). اهـ(٥).

ولذلك عَرَّفَهَا بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

وهي تحقيق توحيد الإلهية: قال ابن تيمية: وهذا التوحيد (توحيد الإلهية) هو عبادة الله وحده لا شريك له، وألا نعبده إلا بما أحبه وما رضيه، وهو ما أمر به شرعه على ألسن رسله صلوات الله عليهم، فهو متضمن لطاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من كل ما سواهما، وهو يتضمن أن يحب الله حبًا لا يماثله ولا يساويه فيه غيره، بل يقتضي أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه، فكيف بربه سبحانه وتعالى، وفي صحيح البخاري أن عمر قال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: «لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك»، قال: فوالذي بعثك بالحق إنك لأَحَب إليَّ من نفسي، قال: «الآن يا عمر»(٦). وقد قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

---

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) البخاري كتاب العتق: ٢٥٥٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن. لسان العرب.

(٤) غافر: ٦٠.

(٥) الفتاوى ١١/٢١٩.

(٦) البخاري: كتاب الأيمان والنذور (٦٦٣٢).

أَنفُسِهِمْ﴾[١]، وقـال تعـالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٢]، فإن لم يكـن الله ورسوله وجهـاد في سبـيله أحب إلى العبـد من الأهل والمال على اختلاف أنواعه، فإنه داخل تحت هذا الـوعيد فهذا التوحيد- توحيـد الإلهية- يتضمن فعل المأمـور وترك المحظور، ومن ذلك الصبـر على المقدور. اهـ[٣]. وقـال أيضًـا: وأصل الدين هو عبادة الله الذي أصله الحب، والإنابة، والإعـراض عما سواه، وهو الفطرة التي فَطَرَ عليها الناس. اهـ[٤].

ولذلك عَرَّفَها ابن تيمية بأنها طاعة الله بامتثال ما أَمَرَ به على أَلْسِنة رسله.

س٩٣: للعبودية أنواع... اذكرها؟

ج: العبـودية نوعـان... قال في مفـردات ألفاظ القرآن: والعـبادة ضربان: **عبـادة بالتسخير**: وهو للإنسان والحيوانات والنبات، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[٥]، وقوله تـعالى: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾[٦] فهذا سـجود تسخير وهو الدلالة الصـامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنه سبحانه خالق فاعل حكيم.

وعـبادة بالاخـتيـار: وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يسـتحق الثواب، نحـو قوله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[٧] أي: تذللوا له، وهي لذوي النطق، وهي المأمور بها في نحو قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[٨]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾[٩].

والعبد يقال على أربعة أضرب:

الأول: عبد بحُـكْم الشرع (مملوك بحكم الشرع)، وهو الإنسان الذي يصـح بيعه

---

(١) الأحزاب: ٦. (٢) التوبة: ٢٤. (٣) الفتاوى: ١٤/٣٧٨، ٣٨٨.
(٤) الفتاوى ١٥/٤٣٨. (٥) الرعد: ١٥. (٦) النحل: ٤٨.
(٧) النجم: ٦٢. (٨) البقرة: ٢١. (٩) النساء: ٣٦.

وابتياعه، نحو: ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾[(١)]، و ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[(٢)].

الثـاني: عبد بالإيجاد، وذلك ليس إلا لـله، وإياه قصد بقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[(٣)].

الثـالث: عبد بالعبادة والخدمـة، والناس في هذا ضربان: عبد لله مخلص، وهو المقصود بقوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾[(٤)]، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[(٥)]، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[(٦)]، ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي﴾[(٧)]، ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[(٨)]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾[(٩)]، ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً﴾[(١٠)]، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾[(١١)].

الرابع: عبد للدنيا وأعراضها: وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإياه قصد النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار**»[(١٢)]، وعلى هذا النحو يصح أن يقال: ليس كل إنسان عبدًا لله، فإن العبد على هذا بمعنى العابد، لكن العبـد أبلغ من العابد، والناس كلهم عبـاد الله، بل الأشياء كلهـا كذلك، لكن بعضها بالتسخير، وبعضها بالاختيار، فالعبيد إذا اضيف إلى الله أعم من العباد، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[(١٣)]. فنبه أنه لا يظلم مَنْ يختص بعبادته. اهـ.

س٩٤: ما الذي يدل على وجوب العبودية لله وحده دون ما سواه؟

ج: يدل على ذلك الكثير من الآيات مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(١٤)]، ومـثل قوله تعـالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[(١٥)]، الآية وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[(١٦)]، وقد بيّن

(١) البقرة: ١٧٨. (٢) النحل: ٧٥. (٣) مريم: ٩٣.
(٤) الإسراء: ٣. (٥) ص: ٤١. (٦) الحجر: ٤٢.
(٧) آل عمران: ٧٩. (٨) الحجر: ٤٠. (٩) الفرقان: ٦٣.
(١٠) الدخان: ٢٣. (١١) الكهف: ٦٥. (١٢) البخاري: كتاب الرقائق: ٥/ ١٧٥.
(١٣) ق: ٢٩. (١٤) الذاريات: ٥٦.
(١٥) الإسراء: ٢٣. (١٦) النساء: ٣٦.

ذلك ابن تيمية حيث قال[1]: فصل في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة والتوكل عليه فلا يعمل لإلاه، ولا يرجى إلا هو، هو سبحانه الذي ابتدأك بخلقك والإنعام عليك، بنفس قدرته عليك، ومشيئته ورحمته من غير سبب منك أصلاً، وما فعل بك لا يقدر عليه غيره، ثم إذا احتجت إليه في جلب رزق أو دفع ضرر، فهو الذي يأتي بالرزق لا يأتي به غيره، وهو الذي يدفع الضرر لا يدفعه غيره، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[2] وهو سبحانه ينعم عليك، ويحسن إليك بنفسه، فإن ذلك موجب ما تسمى به، ووصف به نفسه، إذ هو الرحمن الرحيم، الودود المجيد، وهو قادر بنفسه، وقدرته من لوازم ذاته، وكذلك رحمته وعلمه وحكمته، لا يحتاج إلى خلقه بوجه من الوجوه، بل هو الغني عن العالمين: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[3]، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[4].

وفي الحديث الصحيح الإلهي: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، ولو كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، ولو قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي شيئًا...**»[5] إلى آخر الحديث.

فالرب سبحانه غني بنفسه، وما يستحقه من صفات الكمال ثابت له بنفسه، واجب له من لوازم نفسه، لا يفتقر في شيء من ذلك إلى غيره، بل أفعاله من كماله: كَمل ففَعَلَ، وإحسانه وجوده من كماله، لا يفعل شيئًا لحاجة إلى غيره، بوجه

---

(١) الفتاوى ١/ ٣٧، ٣٨. (٢) الملك: ٢٠- ٢٣.

(٣) لقمان: ١٢. (٤) إبراهيم: ٧، ٨.

(٥) صحيح الجامع: ٤٣٤٥.

من الوجوه، بل كلما يريده فعله، فإنه فعال لما يريد، وهو سبحانه بالغ أمره فكلما يطلب فهو يبلغه ويناله ويصل إليه وحده لا يعينه أحد، ولا يعوقه أحد، لا يحتاج في شيء من أموره إلى معين، وماله من المخلوقين ظهير، وليس له ولي من الذل.

س٩٥: للعبادة شروط لا تصح، ولا تقبل إلا بها... اذكرها مع البيان؟

ج: قال ابن عثيمين رحمه الله[١]: وللعبادة شرطان:

أحدهما: الإخلاص لله عز وجل بأن لا يريد بهما سوى وجه الله والوصول إلى دار كرامته، وهذا من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ بألا يتعبد لله تعالى بغير ما شرعه، وهذا من تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله، فالمشرك في العبادة لا تُقْبَل عبادته، ولا تصح لفقد الشرط الأول، والمبتدع فيها لا تقبل، ولا تصح لفقد الشرط الثاني، وقد دل على هذين الشرطين كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فمن أدلة اشتراط الإخلاص في كتاب الله قوله تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾[٢]، وقوله: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٤]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة والمتنوعة الدلالة.

ومن أدلته من السنة ما أخرجه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يأيها الناس إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن هاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٥]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة

---

(١) تقريب التدمرية ط مكتبة السنة ص١١٣- ١١٥. (٢) الزمر: ٢، ٣.

(٣) البينة: ٥. (٤) الأنعام: ٨٨.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (برقم ٦٩٥٣- طرفه رقم ١) كتاب الحيل، ومسلم في صحيحه (١٩٠٧/ ١٥٥) كتاب الإمارة.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عَمِل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركَه**»(١).

ومن أدلة اشتراط المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه**﴾(٢)، وقوله: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(٣)، وقوله في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(٤) إلى غير ذلك من الآيات.

ومن أدلته من السنة ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ عَمِل عَمَلاً ليس عليه أمْرُنَا فهو رَدّ**»(٥) أي مردود، وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا خطب الناس يوم الجمعة: «**أما بَعْدُ، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»(٦) وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٧).

ولا تتحقق المتابعة إلا بموافقة العبادة للشرع في سببها وجنسها وقدرها وكيفيتها وزمانها ومكانها.

س٩٦: العبادة هي ما يحبه الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، اذكر أمثلة لهذه الأعمال؟

ج: **الأعمال الظاهرة**: كالتلفظ بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥/٤٦) كتاب الزهد والرقائق. (٢) الأنعام: ١٥٣.
(٣) آل عمران: ٨٥. (٤) الأعراف: ١٥٧. (٥) متفق عليه.
(٦) أخرجه مسلم (٨٦٧/٤٣، ٤٤) كتاب الجمعة.
(٧) صحيح أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وصححه.

والحج، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإغاثة الملهوف، ونصر المظلوم، وتعليم الناس الخير، والدعوة إلى الله عز وجل، وبر الوالدين، وغير ذلك. . .

والأعمال الباطنة: كالإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وخشية الله، وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه، والرغبة والرهبة إليه، والاستعانة به، والحب والبغض في الله، والموالاة والمعاداة فيه، وغير ذلك. . . ثم اعلم أنها لا تقبل (الأعمال الظاهرة)، ما لم يساندها عمل القلب[1].

س٩٧ : يقول البعض: مَنْ عَبَد الله محبة له، كان من الأحرار، ومن عبده رجاءَ ثوابه، كان من التُّجَار، ومن عَبَدَهُ خوفًا من عذابه، كان من العبيد، فما صحة هذا الكلام؟

ج: قال صاحب معارج القبول: ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل، ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال مَنْ قال من السلف: مَنْ عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عَبَده بالرجاء وَحْدَه فهو مُرْجِئٌ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حَرُوري، ومَنْ عَبَدَه بالحب، والخوف، والرجاء، فهو مؤمن مُوَحد.

قلت: وبيان كلامهم هذا أن دعوى الحب لله بلا تذلل ولا خوف، ولا رجاء ولا خشية ولا رهبة، ولا خضوع دعوى كاذبة، ولذا ترى مَنْ يدَّعي ذلك كثيرًا ما يقع في معاصي الله عز وجل ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية، وأنه مطيع لها، وهذا شأن المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾[2]، وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾[3]، وغير ذلك وإمامهم في ذلك الاحتجاج هو إبليس إذ قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[4].

وإنما المحبة نفس وفاق العبد ربه، فيحب ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه

---

(١) معارج القبول طبعة دار ابن القيم الدمام - ٢/ ٤٣٧.
(٢) الأنعام: ١٤٨.
(٣) الزخرف: ٢٠.
(٤) الأعراف: ١٦.

ويأباه، وإنما تتلقى معرفة محابّ الله ومعاصيه من طريق الشرع، وإنما تحصل بمتابعة الشارع، ولذا قال الحسن رحمه الله تعالى: ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١)، فمن ادعى محبة الله ولم يك متبعًا رسوله فهو كاذب. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته لرسول الله ﷺ».

وكذلك الرجاء وحده إذا استرسل فيه العبد تجرأ على معاصي الله، وأَمِنَ مكرَ الله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٢).

وكذلك الخوف وحده إذا استرسل فيه العبد ساء ظنه بربه وقنط من رحمته، ويئس من رَوْحه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾(٤) فالأمن من مكر الله خسران، واليأس من روحه كفران، والقنوط من رحمة الله ضلال وطغيان، وعبادة الله عز وجل بالحب والخوف والرجاء، توحيد وإيمان، فالعبد المؤمن بين الخوف والرجاء كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾(٦)، وبين الرغبة والرهبة، كما قال تعالى في آل زكريا عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٧)، فتارة يمده الرجاء والرغبة فيكاد أن يذوب من خشية الله تعالى، فهو دائب في طلب مرضاة ربه، مُقْبِل عليه، خائف من عقوباته، ملتجئ منه إليه، عائذ به منه، راغب فيما لديه.

---

(١) آل عمران: ٣١.
(٢) الأعراف: ٩٩.
(٣) يوسف: ٨٧.
(٤) الحجر: ٥٦.
(٥) الإسراء: ٥٧.
(٦) الزمر: ٩.
(٧) الأنبياء: ٩٠.

س٩٨ : الخوف والرجاء والمحبة هي أقطاب العبودية وأركان طائره، اذكر كل نوع منها مع البيان؟

ج: من أنواع العبادة الخوف من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿**فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿**وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾[٤]، وقال تبارك اسمه: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾[٥] وغيرها من الآيات وقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُشَات، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون**»[٦]، وفي البخاري عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**والله لا أدري، والله لا أدري- وأنا رسول الله ﷺ - ما يُفْعَل بي ولا بكم**»[٧]، وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت مثل النار نَامَ هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها**»[٨]، وفيه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خَافَ أَدْلَجَ، ومَنْ أَدْلَجَ، بلَغَ المَنْزِل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[٩]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾[١٠]، هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، ويخافون ألا يقبل منهم: ﴿أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي**

---

(١) آل عمران: ١٧٥. (٢) الرحمن: ٤٦.
(٣) المؤمنون: ٦٠. (٤) الإسراء: ٥٧.
(٥) الزمر: ٩. (٦) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي في الزهد وسنده حسن.
(٧) البخاري: ٣/ ١١٤.
(٨) الترمذي ٤/ ٧١٥ح (٢٦٠١)، وحسنه الألباني: السلسلة الصحيحة ح ٩٥٠).
(٩) صحيح الجامع برقم: (٦٢٢٢).
(١٠) المؤمنون: ٦٠.

الْخَيْرَاتِ ﴾(١)»(٢). وفيه من حديث أبي جحيفة قال: قالوا: يا رسول الله قد شبتَ، قال: «**شيبتني هود وأخواتها**»(٣) ومن حديث أبي بكر ﷺ: «**شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت**»(٤)، وغير ذلك من الأحاديث.

ومن أنواع العبادة: الرجاء، قال الله عز وجل: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۞ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾(٧)، وغير ذلك من الآيات، وفي الحديث: «**أنا عند ظن عبدي بي**»(٨)، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار**»(٩)، وقال ﷺ في دعاء المكروب: «**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين**»(١٠).

ومن أنواع العبادة: المحبة: قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا**

---

(١) المؤمنون: ٦١. (٢) الترمذي ٥/ ٣٢٧، ٣٢٨) في التفسير: من سورة المؤمنين.

(٣) رواه ابن سعد الطبقات (١/ ٤٣٥، ٤٣٦) عن قتادة مرفوعًا، وقال الألباني: إسناده صحيح لولا أنه مرسل.

(٤) الترمذي (٥/ ٤٠٢/ ٣٢٩٧) في التفسير، انظر العلل للدارقطني (ص١٧) والمقاصد الحسنة (ح٦٠٦) والسلسلة الصحيحة (ح ٩٥٥).

(٥) الكهف: ١١٠. (٦) العنكبوت: ٥.

(٧) يونس: ٧. (٨) البخاري: كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥).

(٩) البخاري (١١/ ٣٠١) في الرقائق، باب الرجاء مع الخوف.

(١٠) رواه أبو داود ٤/ ٣٢٤ ح٥٠٩٠) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، وأحمد ٥/ ٤٢)، وإسناده حسن.

يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾[(٢)] فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حبا له، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه، وإن مال إليه هواه، وموالاة مَنْ والَى الله ورسوله، ومعاداة مَنْ عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه، وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾[(٣)] فكل مَنْ عبَد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبْد لهواه، بل كل ما عُصِي الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر الله عز وجل ونواهيه، وقال تعالى في اشتراط اتباع رسوله ﷺ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[(٤)]. وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجَد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذَف في النار»[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[(٦)]، وفي الحديث: «أوثق عرى الإيمان، الحب في الله، والبغض فيه»[(٧)] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، وقد أصبح غالب

---

(١) البقرة: ١٦٥. (٢) المائدة: ٥٤.

(٣) الجاثية: ٢٣. (٤) آل عمران: ٣١.

(٥) البخاري (١/ ٧٢) في الإيمان، ومسلم (١/ ٦٦ ح٦٨).

(٦) البخاري (١/ ٥٨) في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.

(٧) رواه أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب (٣٠/ ٤٣٠).

مؤاخاة الناس اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا»[١].

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: ادعى قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٢]. فإذا عُلم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه الله تعالى ويرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول الله ﷺ وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن محبته بمحبة رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٣].

وفي الدر المنثور للسيوطي: وأخرج أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن عون بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لقمان لابنه: يا بني ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تيأس بها من رحمته. فقال: يا أبتاه: وكيف أستطيع ذلك وإنما لي قلب واحد؟ قال: المؤمن كذا له قلبان؛ قلب يرجو به، وقلب يخاف به.

س٩٩: ما الحكمة الكونية القدرية، و الحكمة الشرعية الدينية؟ وما علاقة كل منهما بالعبودية؟

ج: قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾[٥] وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي

---

(١) خرجه ابن جرير الطبري، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٩٦) من طريق يحيى ابن زكريا عن مجاهد قال: قال لي، عبد الله بن عباس. . . .

(٢) آل عمران: ٣١، ٣٢. (٣) التوبة: ٢٤.

(٤) المؤمنون: ١١٥. (٥) ص: ٢٧.

أنفسهم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[٢].

هذه الآيات وغيرها كثير تبين أن الله سبحانه وتعالى ما خلق العالم العلوي- وهو السموات بما حَوَت- والعالم السفلي- وهو الأرض بما حَوَت- إلا بالحق، وأنه منزه عن أن يخلق ذلك عبثًا بلا قصد، ولا إرادة ولا حكمة، وتُفَنِّدُ مَزَاعِم المبطلين الذين يَحْسَبون أن يُتْركوا سُدًى بلا أمر ولا نهى، ولا حكمة ولا إرادة، كما يظنه الذين كفروا، الذين لا يرون بَعْثًا ولا مَعادًا ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾[٣]. ثم بيّن سبحانه الغاية من الخلق، والحكمة من وراء ذلك في قوله عز من قائل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤]، قال ابن عباس: ﴿ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾، إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا، وهذه الآية بيّنت أن الذي خلق الخلق، ونَظَمَ نَظْمهم وأقَامَهُم على ما أراد، وجعلهم حيث شاء من أبيض وأسود، وعرب وعجم، وفقراء وأغنياء، وملوك ومملوكين، في ظل كَونهم إنسًا وجنًّا، وطائعًا وعاصيًا، ومُقْبلاً ومدبرًا، وكافرًا ومؤمنًا، وغير ذلك من شأن الخلق الذي لم يُقِمْه ويخلقه ويُكَوِّنْه، ويُقَدِّر مقاديره على اختلافها واتساعها، وهذا النَظْم يُبَيِّن حكمته في كونه وتقديره، وهو ما يُعرف **بالحكمة الكونية القدرية**، وهي الحكمة التي تتجلى في إقامة العبد- في سموات وأراضين- على ما قَضَتْ حكمته في كونه وانتظمت في خلقه مقاديره، فالكون نَظَمه ربه بحكمة بديعة، تظهر في الاختلاف الواسع، والأحوال المتغيرة، والأكوان المُتَرَامية، ويسير ذلك كله على وفق مقادير وقدر محكم لا يُقَدِّره إلا اللطيف الخبير ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٥] فالكل في ذلك مُعَبَّد بعبودية- الحكمة الكونية القدرية- فلا يستطيع أحد أن يخرج بحالٍ من ذلك النَّظْم البديع الذي نَظَمَ الله عليه كونه، ثم إن الله تعالى لم يجعل مثل ذلك النظم الكوني البديع سدى وهَمَلاً، ولكنه أراد من وراء ذلك من خلقه المُكَلَّف الدخول في عبودية

(١) الروم: ٨. (٢) القيامة: ٣٦.

(٣) ص: ٢٧. (٤) الذاريات: ٥٦. (٥) القمر: ٤٩.

بعد عبودية، في **عبودية شرعية دينية** فيها السمع والطاعة والامتثال لأمره ونهيه، بعد عبوديتهم بانتظامهم في كونه على وفْقِ خَلْقِه، فأرسل لهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وأمرهم بعبادته، ووَفق مَنْ اهتـدى منهم لطاعته، فكان المؤمن مُحَقِّقًا لمقتضى حكمة الله الكونية القدرية ومستجيبًا لأمره عابدًا له محققًا لمقتضى حكمته الشرعية الدينية، والتي هي مُرَاد الله من خلقه المُكَلَّفين، ومـا يحبه ويـرضاه لهم ومنهم قـال تعالى: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ **فـالخلق**: حكمته الكـونية القدرية **والأمـر**: حكمته الشـرعية الدينية، والأولى: عـبودية المُعَبَّـد المُذلل المُسَخَّر، ويدخل فـيها جمـيع المخلوقات من جمـيع العالم العـلوي والسفلي، من عـاقل وغيـره، ومن رطب ويابس، ومتـحرك وساكن، وظاهر وكامن، ومؤمن وكافر، وبـر وفاجر، وغير ذلك؛ لأن الكل مخلوق لله عز وجل مسخر بتسخيره، مدبر بتدبيره، لكل منهم رسم يقف عليه، وحد ينتهي إليه، ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾[1] كل يجري لأجل مسمى لا يتـجاوزه مثقـال ذرة، ذلك تقدير العليم، وتدبير العدل الحكيـم، والثانية: عبودية العابد، وهو المؤمـن لا غير، والمشرك لا يدخل فيها، وإن عَـبَدَ ربه بكثير من العبادات؛ لأنه بالشرك صـار غير عابد؛ لأن الشرك يحبط العمل، ويضـيعه، ويجعله هباءً منثورًا كأن لم يكن- والعياذ بالله-.

س المتمم للمائة: (١٠٠): لماذا ينبغي الاهتـمام بالعقـيدة؟ وما الذي يرجع علينا من دراسة وتعلم العقيدة الإسلامية والتمسك بها؟

ج: الذي يرجع من التمسك بالعقيدة الإسلامية علينا كثير، مِنْ ذلك: **أولاً: إخلاص النيـة والعبـادة لله تعالى وحـده** لأنه الخالق لا شـريك له، فوجب أن يكون القـصد والعبادة له وحده.

ثانيًا: تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عند خلو القلب من هذه العقـيدة؛ لأن مَنْ خلا قلبه منهـا فهو إما فـارغ القلب من كل عقيدة، وعـابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

---

(١) يس: ٤٠.

ثالثًا: الراحة النفسية والفكرية، فلا قلق في نفس ولا اضطراب في الفكر لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه فيرضى به ربًا مدبرًا وحاكمًا مشرعًا فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغي عنه بديلاً.

رابعًا: سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين؛ لأن من أسسها الإيمان بالرسل المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامسًا: الحزم والجد في الأمور، بحيث لا يُفَوِّت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفًا من العقاب؛ لأن من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾[1]، وقد حث النبي ﷺ على هذه الغاية في قوله: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قلْ: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[2].

سادسًا: تكوين أمة قوية تبذل كل غالٍ ورخيص في تثبيت دينها، وتوطيد دعائمه غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾[3].

سابعًا: الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[4].

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية نرجو الله تعالى أن يحققها لنا، ولجميع المسلمين... آمين.

---

(١) الأنعام: ١٣٢. (٢) رواه مسلم.
(٣) الحجرات: ١٥. (٤) النحل: ٩٧.

خاتمة

هذا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، واللهَ أسأل أن يرزقنا العمل كما رزقنا العلم، ونعوذُ بالله من أن نُذَكِّر به وننساه، ومن وجد في ذلك خيرًا فليحمد الله، وليسأله القبول والمثوبة لي وله، وإن وَجَد عيبًا أو خطأً فليستر ولينصح، ويسأل الله العفو، وليكن معلومًا للجميع أن ما في ذلك من خير وصواب وتوفيق، فمن الله وحده، وما فيه من خطأ وتخليط وجهل ونسيان، وعدم توفيق فمِني ومن الشيطان، والله منه بريئ، ونعوذ بالله من أن نقول على الله بغير علم، ونسأله السداد والرشد، والتيسير بإعداد المائة الثانية، في أركان الإيمان، ومسائل الصفات، ثم المائة الثالثة، في الفِرق ومذاهب أهل الأهواء، فإنه لا يُعين على الخير إلا هو، . . وهو خير مسئول وأرجى مأمول. . . وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وكتبه

راجي عفو ربه الغفور

د. السيد العربي بن كمال

غفر الله له ولوالديه ولأهله أجمعين

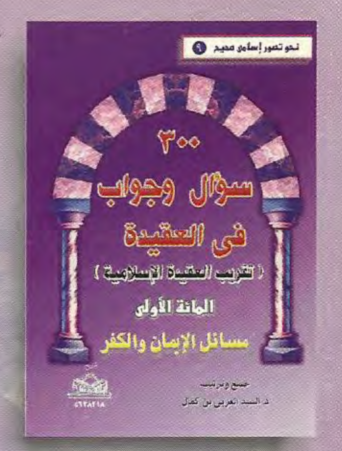
وكان تمامه يوم الأحد قبل الغروب

القاهرة في ٢٩ صفر ١٤٢٣هـ - ١٢/٥/٢٠٠٢م

فهرس الموضوعات

مطابع دار الصحيفة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧-٠١٠٦٦٩٥٧٤٣

هذا الكتاب



محاولة لتقريب العقيدة الإسلامية لكلّ مبتدىء

ومقتصد من المتعلمين والمتعبدين، فى صورة سؤال

وجواب ، حاولت جمعها فى ٣٠٠ سؤال وجواب

يحوى هذا الكتاب المائةالأولى منها ، أقرأ فيها عن :-

* بيان أهمية العقيدة ° ومترلتها فى الدين – ضرورتها لسلامة الدين وكماله
* حقيقة الدين الإسلامى ودعوته ° ماسمى به القرآن الدين الإسلامى
* حقيقة الايمان ، وبيان أصله وكماله ، ومذاهب الناس فى حده
* بيان أصول اهل السنة والجماعة ، وكون الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص
* حقيقة الكفر وبيان ماهو أكبر ، وماهو أصغر
* بيان الكفر العملى والاعتقادى وبيان حقيقة كل منهما ، والفارق بينهما
* بيان أن الفسق فسقان ، والظلم ظلمان ، والشرك شركان ....وهكذا
* بيان التوحيد وأقسامه ، وتعريفاته – حقيقة الطاغوت وأقسامه والكفر به .
* بيان حقيقة الاسلام والايمان وما بينهما من فارق
* بيان حقيقة سلب اسم الإيمان وسلب اسم الإسلام عن العبد
* حكم مرتكب الكبيرة – حكم تكفير المعين – ضوابط التكفير – مناط الحكم ومناط الانتفاع
* حقيقة النفاق وأقسامه – علامات النفاق الأكبر والأصغر
* حقيقة العبودية ، ومقتضياتها ، وشروطها ......وغير ذلك من لمباحث الهامة فى مسائل الكفر والإيمان

والله/ أسأل السداد والتوفيق ، والنفع والانتفاع بالعلم والعمل

ـــ وهو الهادى الى سبيل الرشاد ـــ